مواكب النور

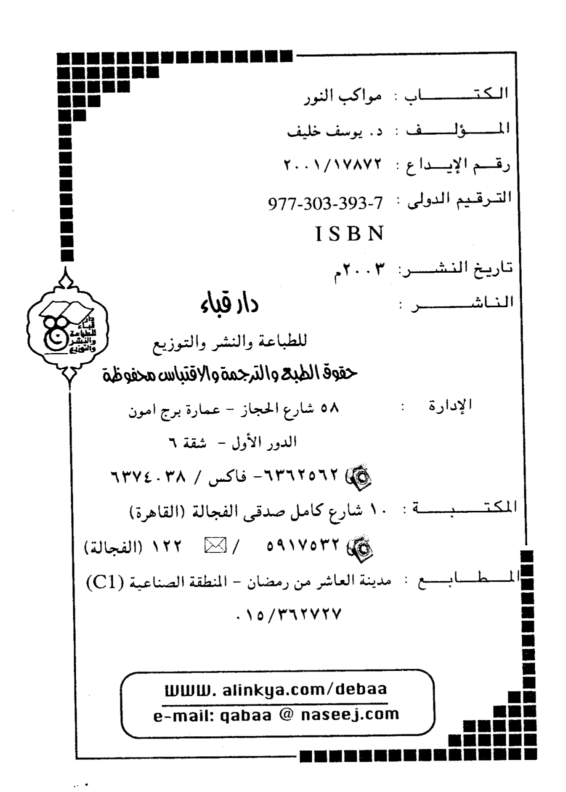
شعـــر

د. يوسف خليف

٢٠٠٣م

النـاشـــر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع



الكتـــاب : مواكب النور

المـــؤلـــف : د. يوسف خليف

رقـــم الإيـــداع : ٢٠٠١/١٧٨٧٢

الترقيم الدولي : 977-303-393-7

ISBN

تاريخ النشـــر: ٢٠٠٣م

النــاشـــــر : دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون

الدور الأول - شقة ٦

☎ ٦٣٦٢٥٦٢- فاكس / ٦٣٧٤٠٣٨

المكتـــبـــة : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المـــطـــابـــع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

٠١٥/٣٦٢٧٢٧

WWW. alinkya.com/debaa

e-mail: qabaa @ naseej.com

على سبيل الإهداء

شـأشدو بحـبى على وجنتـيك
وأقــسم عـهــد الوفــاء لديك
بخـديك بالسحـر من مقلتـيك
فــهـذى يمينـى إلى راحتــيك
وهذى عـــيـونى فى نـاظريك
سـأسكب روحى على قدمـيك
وأفنى حـيـاتى عـلى شـفـتـيك
وأحــيــا عـلى حــبك الملهم
حــيـاتى لأنت فــمــا فى دمى
ســوى لهب الـفـتـنة المضــرم

مقدمة بقلم

أ.د.مي يوسف خليف

(١)

نلتقى بالشاعر والناقد معًا كما التقينا معه فى ديوانه الأول المنشور «نداء القمم» ، متسلحًا بمناهجه مطمئنا إلى صحة مداخله ، متفهمًا لماهية عمله وأداته ووظيفته ، ففى مقدمة الديوان تستوقفنا معالم الطريق النقدى الذى حدده الشاعر لنفسه ، بما يكشف عن عمق حسه التراثى الدقيق ، دون أن يقع فى منطقة «الاستعباد» لذلك الموروث ولا الاستخفاف به ، ومن ثم كان ما طرحه من تصوره لقضية التجديد الذى تتبلور إشكاليته عنده - أساسًا - فى ضرورة امتلاك المبدع لأدواته، وحتمية تمكُّنه من السيطرة عليها ، والتحكم فى معطيات فنه ، مما يؤهله للجمع بين الجديد والقديم ، ويحكى فصلا من تفاعله بين إيقاع المرحلة وأصداء التراث.

وإذا ما تجاوزنا الناقد - فى المقدمة - إلى الشاعر فى قصائد الديوان ، وجدناه قد طرح إبداعه بما يسمح بتصنيفه عبر عدة مستويات من حيث الأداء الشكلى ، فقدوردت الكثير من قصائده على منهج المدرسة التقليدية، بدت من خلالها معايشته ضروبا من الصراع منذ وقف فى مفترق الطرق يتأمل عالمه الفنى ، فجاءت إبداعاته موزّعة بين القصيدة والمقطوعة .

وهو ما تجلّى إبداعًا من خلال قصائد الديوان ومقطوعاته مما تدفع بنا إلى الحيرة أمام عطاء الشاعر، حيث نحس - أحيانًا - أننا أمام شاعر مشرقى عذب اللحن، شجى النغم على طريقة النظم العمودى ، وأحيانا أمام شاعر أندلسى يترنم بموشحه عبر مقاطعه وأغصانه وأقفاله وصور تجديده فى الوحدات الصوتية المتعددة ، والتجديد فى شكل القصيدة ، بل يبدو من أغنى شعراء المرحلة فى موسيقية الشعر فى سياق مدرسة التفعيلة ، فحقق بذلك إنجازا مهما فى تعددية الشكل التى مال إليها سوى قصيدة النثر التي لم يقع فى حبائلها على الإطلاق .

ومن خلال هذا التنوع الموسيقى نجده أشد ما يكون ارتباطاً بجوهر تجاربه التى صدر عنها ، فهى إذن قدرته على تطويع الموسيقا للتجارب بهذا الشكل من التعددية والتلوين .

وعلى حد تصورى يتراءى لنا الشاعر وقد استهل ديوانه الأول بطرح هذه المقدمة الطويلة تقديرا لقرائه وفنه أيضا ، فلم يشأ أن يعبر لهم عما يعتمل بداخله من مشاعر وتجارب من خلال أدواته الفنيةدون تفسير ذكى وجاد لما قد يستشعره المتلقى عبر أول قراءة من مشكلات ، أو ما قد يداعب أفكاره من تساؤلات حول تنوع الشكل ومبرراته .

(٢)

ومع تعددية الشكل جاءت تعدديَّة الموضوع عبرَ ذلك المزاج الرائع بين ما عايشه الشاعر من تجارب ذاتية ، ووطنية ، وقومية ، وإنسانية ، مما يمكن تصنيفه -منذ البداية - من خلال تحليل عناوين قصائد الديوان الأول ، ففى الإطار «الذاتى» ، والتعبير عن «الأنا» الخاصة نجده ينظم



«غداً نلتقى»، « لاتتـركينى» ، « انتظار» ، «رسالة حب» ، «هدية حب» ، «خميلة» ، «نجوى حنين»، «حورية المعبد»، «استغفار» ، «حسـرات» ، «الطائر الجريح» ، وكأنما قصد من ورائهـا إلى التـوقف طـويلاً إزاء اسـتـبطان التـجـربة وتصـوير حـرارتهـا ودفـئـهـا من واقـع جـدله الدائب مع أبعادها ومعطياتها .

ثم تمتد خيوط التجـربة إلى أفق أكثر رحابة تنعكس من خـلاله لغة «الانتـماء » ورمـوز «المواطنة» فـتأخـذ مسـاراً سياسيًا يتتبع فيه بحـاسته الإبداعية طبائع الأحداث الجسام التى شغلت «مصر»، حـيثُ راح يسجل من واقع انخراطه فيها موقفه الفنى على مـا نحو ما تمليه علينا قراءة قصائده حول «جزيرة الحرية» والتى رصد من خلالها أحلام ماقبل الثورة، ثم ما تابعه من خلال إبداعـه فى قصيدته «مواكب النور» التى يحكى من خلالها صـورة الأحلام الكبار وقد صارت واقعًا يعيـشه أبناء الشعب المصرى بأكمله، لنسمع معـه «موسيقـا الفجر» ليكتـمل نفس المسار على مستوى المعالجة الصوتية والتصويرية .

وتمتد لديه رموز «المواطنة» فتبرزها قصائد أخرى سطر بين أبياتها وصورها جوانب متعددة منها ، تعلق بعضها «بالنيل» ومواكبه ، وتوقف الآخر عند «صحراء الهرم» التى جمع على رمالها بين البُعدَيْن الذاتى والوطنى فى إطار تاريخى صميم . بدا جامعًا من خلاله بين وطنيته وعروبته ، لتبدأ تجليات القضية منذ نظم قصيدته المبكرة «يقظة النيل»، وبعدها تستمر الانطلاقة المزدوجة بين تدفق الحس الوطنى مع القومى عبر شريان واحد ، وقد سارا معًا فى طريق مشترك بدا محدد المعالم ، لنجد هذا الطريق وقد اتسع ووصل إلى مفترق طرق آخر ، تتسع معه دائرة التعبير والإبداع اتساعًا واضحًا أمامه ، وتتراءى له الأرض المباركة التى أيقظت نيرانها نهضة الشرق المجيد، فيرسل بتحية خاصة إليها ، معبرًا عن أزمته إزاء أزمة فلسطين ، ثم تلح عليه مشاعر الحزن والأسى لما يصيب تلك الأرض الطيبة حين خرق الصهيونيون الهدنة فى جبهة النقب ، حيث يقف الجيش المصرى الباسل ، وتقف منه الجيوش العربية موقف المتفرج من المعركة ، وقد عبر من خلال

مقطوعته الحزينة «حسرة» عن صدى الموقف فى نفسه مصريًا وعربيًا ، يعكس رؤية المصريين جميعًا ويصور معاناتهم من هول الموقف الكئيب الذى أذهلهم، وهو ماظهر بوضوح منذ اختيار الاسم لهذا النغم الحزين . لنجده بعد ذلك ومن خلال تدفُّق مشاعره مع الجيش المصرى يرسل إلى جنوده «تحية» بعد أن أدوا واجبهم فى معركة النقب الأخيرة حين ردوا اليهود منهزمين ، على الرغم مما جمعوه لهم من عدة وعتاد من مختلف أقطار الأرض، مما اضطر أمريكا إلى أن تقوم بدور الوساطة بين الفريقين لقبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال. وبعد «التحية» نجده «يعود مع الأبطال» فى رحلة طويلة حكى فيها عنهم مشهدًا من قصة البطولة فى سيناء فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦، وكأنما توَّج بتلك « العودة» - التى حددت معالم الطريق حتى الوصول إلى تلك البطولة - متابعته النفسية للأحداث الكبار التى عاشها الوطن الأم -مصر- فى سياق قضية الوطن الأكبر الذى ينتمى إليه العرب جميعًا .

وفى الإطار الإنسانى العام يتسع لديه مجال الصورة تجاه أحداث متناثرة يتخذ منها محاور لطرح مواقف تعكس طموحه فى أحيان كثيرة ، وتحكى آماله الكبار فى خضم هذا العالم الرحب اللامتناهى ، سواء في قصيدته قصيدته «نداء القمم» أو قصيدة « الربيع» ، وربما حكت قصائد أخرى ضروبًا من الحزن والشجن ، وحالات من الأسى واليأس تجاه أحداث جزئية اتسع عنده مجال التعبير عنها ، لتأخذ عمقًا إنسانيًا أكثر اتساعا وشمولاً ، على نحو ما نرى فى قصائده الشجية «ماتت الأفراح» و «كأس محطمة» و«اللحن الخالد» ، وقد راح يحكى فى كل منها ملمحًا إنسانيًا يبدأ من التميُّز والخصوصية ، وينتهى عند مشاركات إنسانية ملموحة ، وكأنه أراد من متلقيه أن يشاركه مشاعره ، وأن يعيش معه أبعادها طالبا منه أن يشاطره العزاء لتلك الأفراح التى ماتت ، وأن يحاول معه أن يلملم بقايا تلك الكأس التى تحطمت ، أو يصغى معه وقد أرهف سمعه إلى مفردات ذلك اللحن الخالد.

(٣)

فإذا تجاوزنا هذا التوصيف للديوان من حيث القسمة الظاهرة لدوائر التعبير فيه ، استوقفنا لدى الشاعر خضم هائل من الأبعاد الرمزية التى أثرى بها قصائده ، فإذا به يأخذ بيدنا لنغوص معه فى هذا الخضم، وقد استوعبنا تماما تلك الأبعاد ، فنحاول مع شاعرنا أن نقف على ماتخبئه الأعماق ، وأن نستكشف جوهر ذلك الجمال الخفى الكامن فيها ، فنرى ما تحكيه طبيعة توجهاته الفنية من خلالها .

ويلعب الرمز - أو الرموز - دوراً بارزاً لدى الشاعر فى جميع مجالات اختياره وتعامله مع الواقع - مع شمولية دلالة هذا الواقع - وأكثر ما ظهر الرمز فى قصائده من خلال حواراته الطويلة مع الطبيعة ، حيث يدخل معها فى مناجاة خاصة يكشف من خلالها عن أحزانه ، أو حبه ، أو طموحه ، أو إحباطه ، أو يأسه ، وهو ما يظهر منه جانب فى رمزين كبيرَيْن احتلاً لدى شاعرنا مساحة انفعالية عميقة الاتساع ، وتكرّرا فى سياق معظم

قـصـائده ، بما حـملتـه من صـور الانعطاف إلـى منطقـة اللاشعـور لديه ، مما برز من خلال رؤيته الضـبابية المعتـمة التى عكسهـا عبر كل من البـحر والصحراء ، وكـأنما كان عشقه الفطرى لكليهما سببا كامنا وراء هذا الحوار الرمزى من خلالهما ، مـحاولاً إسقاط مشاعره وانفعـالاته عليهما ومن خلالهما .

فإذا به يطرح رؤيته من خلال البحر محاولاً أن يجد لديه شيئًا من المواساة ، فـهو المعشوق الأول له منذ أن نشأ على شـواطىء الإسكندرية طفـلا ثم صـبيًـا دون مـرحلة الشباب قبل انتقال الأسرة إلى القاهرة .

ويتضح - بداية - كيف جمع بين البحر والصحراء بوصفـهما رمزيـن متباعـدَيْن إلا من خلال واقعـه النفسى والذهنى فى تصوير عالم الضياع والرهق والضبابية ، وقد التـقت بهمـا ذاته بمزيد من العناء ، مما يتطلب منه خـوض الغمـار بحثا عن «هدية حـب» . وكأنه عانى من خـلالها معـاناة الفارس القديم حين وظّف مـقومات بطولته بحـثا عن النوق العصافير فى عالم المستحيل .



ورغم هذا الجانب المشرق لأعماق البحر وقد أعطاه كل ما تمنى ، وحقق له العثور على كنوزه ، وشكل له قلائد من اللآلىء الثمينة ، ترجمت فى « هدية الحب » التى راح يبحث عنها ليقدمها لمن يستحق كل هذا الجهد وذلك العناء . إلا أن صورة البحر الكئيب الحزين وقد اضطربت أمواجه ، وتباعدت شطآنه غالبا ما تسيطر على نفس الشاعر ، ويتردد لديه مشهدا «الزورق» و «الشاطئ» حين تسيطر عليه حالات القلق، أو تلوح له أحيانًا دواعى التشاؤم ، أو حين يتحتم عليه - أحيانًا أخرى - اندفاع الذات إلى المغامرة المحفوفة بالمخاطر والمخاوف ، فيبدو زورقه وقد اختلف فى كل شىء ليتلاءم مع البحر الذى سيحمله والذى أتى هو الآخر مختلفا فى كل شىء .

هنا تتأسس مقومات الصورة فى مسار عالمه النفسى القلق أحيانًا بما يجيش به من اندفاع وقوة ، خاصة حين علّقه بالعاصفة التى مهد بها لمشقة السبيل أمام زورقه المتواضع فى زحام تلك الأجواء العاتية الغريبة .

وقد أضاف إليها من معطيات التشكيل مشهد «البحر الغضوب» و«هتاف الملاح» و«الجو الكئيب» و«استعطاف البحر اللجب» و «ضلال الأصوات» وانعدام صوت «المجيب» ، ولايكاد يتردد إلا صدى الصوت من «فؤاد كئيب» فحسب .

وتتقارب المعطيات التصويرية تقارُب منابع «الرمز» وتتابُع مقوماته من واقع الإيحاءات الذاتية البعيدة ، تلك التى استوحاها الشاعر من واقعه من جانب ، وربما ظل مترسبًا فى ذاكرته من بقايا ملامح تراثية رسمها شعرنا القديم من جانب ثان ، بدليل ذلك التجانس غير المفتعل بين «البحر» و «الليل البهيم» على حد تصويره فى نفس القصيدة ، وكأنما تفاعل عنصرا الزمان والمكان فى نفسه ، فكان البحر / العنف ، وكان الزمان / الخوف ، وكانت الصحراء / العنف والخوف معًا ، وكان القياس الجامع بينهما قبل انتهاء تجربة «الغيوم» ذاتها على مستوى التصوير .

ومن نفس المنطلق كان الحديث عن «التيَّار» وقد سيطرت أمواج البحر المتلاطمة على آليات الذات ، وأفقدتها القدرة على تحديد اتجاهها ، فاستسلمت لها تُوجهها إلى حيث تشاء ، لا حيث يشاء صاحبها ، فبدت الذات هنا وقد فقدت «فاعليتها» - أو كادت - لتظل موجَّهة من خلال التيار ، وهنا لا بد أن تحدث النتيجة الحتمية المتوقعة وهى تحطيم السفن ، وتفتيت أدوات الشاعر، وتناثر قدراته جميعًا وقد ضلت طريقها بين تلك الأمواج ، فلنا أن نتصور رُبان السفينة وقد دفعه تيار الأمواج بهذه القوة ، فاستسلم وفقد القدرة على السيطرة على سفينته ، فتناثرت أشلاء عبر الموج ، ومعها سقطت كل آمال الشاعر وتهاوت أحلامه الكبار .

على أن رمز البحر الذى استمده الشاعر من واقعه الشخصى ، وعالمه الذاتى ، أو من تراثه ، لم يكن ليقف عند ثبات هذه الدلالة فى حدود التجربة «الذاتية» ، إذ نجد الموقف يتحوَّل لديه إلى منعطف آخر فى مسار التجربة «الوطنية» ، ليأخذ بُعدا مختلفا يعكسه ذلك الوهج

الانفعالى لدى الشاعر ، من مفاجآت القدر إلى مرحلة الاطمئنان الذى هيأته له هواجس النفس تجاه أحلام كبار عاشها أولا فى قيام ثورة من قلب الواقع ، حيث تخلص الواقع نفسه من ضبابية الرؤى وكآبة الموقف المعيش ، فإذا بالبحر يشهد تحولا قياسيًا على لسان الشاعر فى «جزيرة الحرية » ، حيث يوفر الشاعر الملاح لزورقه كل مؤهلات النجاة، ومقومات الوصول إلى شاطىء الأمان، وهنا تخف حدة المعاناة ، ويحدث التلاقى والمصالحة بين الخصوم : الذات / البحر .

وإذا بالنصر يقف فى جانب الذات التى طالما استسلمت لهول ذلك الخضم ، ولكنها هنا الذات الجمعية التى تحمل بين جنباتها رموز المواطنة ، وتستشعر قوتها من خلال الثورة المشبوبة فى النفس والنفوس جميعًا ، بما يكفى لتوحد ذات الشاعر مع ذوات المصريين جميعًا فى معايشة الحلم الجميل الذى قد يتحقق حين يصل الزورق إلى شاطىء الأمان .



ويتحول الشاعر عند «النهر» إلى صديق مسالم هادىء رقيق ، يعتد بصداقته له ، يأمن جانبه ، ويتشبث بتوحُّده معه ، وإذا بأصوات العنف تهدأ على صفحة الغدير ، وإذا برموز الحياة تتدفق من خلال النهر ابتداء من تمركز محاور المشهد عند «يقظة النيل» ، والتى استوقف الشاعر فيها تشخيصه للنيل أميرًا فى موكبه ، أو ملكًا بين حاشيته ، أو حكيمًا فى قومه . لينتهى من الصورة إلى تسجيل ما كان يرمى إليه من حتمية تحقُّق وحدة النيل ، متسعًا بالتجربة إلى ذلك الإطار القومى الذى يراه فيه وهو «يرقب الشرق» و «يرى النور» و «يجرف الظلمة» . وحتى قبل هذا الاتساع يظل النهر لديه رمزًا هادئًا من رموز الطبيعة الموجبة التى لا يضيق بتصوير علاقته بها على هذا المستوى الانفعالى الذى يشده إليها ، ابتداء من قصيدته «نداء القمم» والتى يتوحد عبر بعض أبياتها بنتاج النيل من ينابيع ، ونهر ، ونخل ، ورمان ، وتفاح ، وزهر، وكروم ، وهو ما يمتد طرحه عبر صور أخرى من مشهد الساحل ، إلى جداول الماء ، إلى ضفاف الغدير ، إلى ماء الحياة ، إلى

النهـر والزهر ، إلى الكوثر وعـرائس الأمـواج ، إلى النبع السلسـل ، إلى الروض / الماء ، إلى مـاء النضـارة ، إلى الظل/ الماء ، إلى الغـدير والينابيع ، إلى صفاء النبع ، إلى انسياب النهر .

فإذا تجاوزنـا ذلك البعد الواقعى فـسيظل النيل على المستوى الرمزى عنده واحـدًا من دلالات العطاء والخير ، والتـدفق ، وسـريان الحـيـاة ، والامـتـداد ، والخـصـوبة ، والنمـاء، والكثـرة ، والقـوة ، دون مـيـل إلى البطش ، أو الضجـيج ، أو الصخب مما رأيناه مـرددًا حول رمز البـحر بصفة غالبة فى المراحل الشعرية الأولى .

(٤)

أمـا الرمز الثـانى المتكرر على مـدار الديوان فـيظل الشاعر مشغولا به فى معظم قـصائده ، فهو رمز «القمة» ، اختـاره الشاعر عنو انا لديوانه الأول ، ثم بدا انتـشار ذلك الرمـز ظاهرة تسـتوقف القـارىء طويلا ، حـيث أتى هذا الانتـشار بصورتَـيْه السالـبة والموجـبة ، إذ جاء الرمـز من خلال الحديث عـن «القمة» ، كما ورد مـن خلال الحديث

عن «السفح» أيضًا ، ولذلك تردد فى دلالات «القمة» فى مقابل طرح نقيضها من دلالات «السفح» و «المنحدر» على سبيل التضاد التصويرى الذى تنطق به القصائد كثيرا فإذا بالسفح دائمًا يصارع « القمة» ، وإن ظلت لها الغلبة فى معظم صوره ، فهو يأبى لها أن تستسلم له - أى للسفح - فهل بدت القمة لديه رمزا من رموز الحق أو الفضيلة ؟ أو هى الحقيقة الباقية فى شموخها فى مقابل سفوح الباطل والرذيلة ؟ ربما قصد الأمرين ، خاصة إذا عشق «القمة» وترك «السفح» لمن يهوى العيش فيه ، أو ارتضى لنفسه ذلك .

هكذا بدت صورة « القمة» وصورة «السفح» فى الجانب الذاتى من شعره ، ولم تختلف الصورة كثيرا حين تعرض للجانب الوطنى . وكأن القمة - فى جميع الأحوال - تصبح معادلا لأمل مرتقب، هى رمز للتفاؤل فى مستقبل الأيام ، مما يدفعنا للتساؤل ، ولِمَ القمة والسفح والجبل ؟ فالرمز هنا يبدأ من سيطرة النموذج الموروث على ذاكرة الشاعر ، ربما كان لعلاقته الطويلة

بالتراث أثرها فى هذا الطرح الخاص للقمم ، فهو ابن (النور والجبل) ، من خلال تلك العلاقة الفكرية التى شدته دائما إلى هذا الرصيد الذى تمثَّله ، ثم صوَّره ، فصار أكثر تجريدا وصفاء لديه ، وعندها تنهار صورة المادة الحقيقية ، لتبقى من دلالاتها تلك الرؤى الذاتية للشاعر نفسه، وعندها تظهر العلاقات الجديدة بين الأشياء ، وتتكشف مبررات التوقف عند المتناقضات بين «السفح» و«القمة» وحينئذ تتآزر الرموز المتضادة ، لتحكى قصة الحرب المستمرة بين «النور» و«الظلام» ، بين «الحق» و«الباطل» ، بين «الزيف» و«الحقيقة» ، وهنا يمتزج الشاعر مع الرمز ، ويستغرقه طويلا تفاعله مع ما يوحى إليه به حتى ليستطيع إقناع المتلقى أنه قد صعد «القمة» فعلا ، وقد ملّ وسأم من معايشة «السفح» كجزء من أرض الواقع .

ومع القمة رمزًا للشموخ والارتفاع يتردد مشهد «الضوء»و «السنا» عند حواره حول الشمس ، القمر ، النور ، الشعاع ، القبس ، الظلال ، الضياء ، الضحى، إشراقة

الفجر ، وهو ما يدعمه بتصوير الوجه الآخر للظلام ، وتصوير الليالى ، وتوقفه من الليل عند عالم العزلة أحيانًا، والجن أحيانًا أخرى ، وشكوى الليل الطويل المضنى ، وكثافة سحبه ، وانتشار ظلماته ، إلى بهمة الليل ومخاوفه وكأنه رأى المشهد لا يكتمل إلا من خلال زحام هذا التضاد الذى يشغله على مستوى الأداء الفنى ، مما استوقفه تجاه «المكان» و«الزمان» فى سياق ذلك التوحد الدال على تنامى نفسية الشاعر الطامحة إلى استشراف الأفق البعيد ، والتى تصبو إلى النور والضياء ، وتبحث عن الأمل والإشراق مهما بعدت بها الشقة.

(٥)

وعلى مدار الديوان ، وعلى مرمى البصر تتراءى أمامنا «الصحراء» ، وتلمع فوق رمالها مقومات كثيرة منها :

أنها تبدو -أحيانًا- صحراء الوهم والخيال ، ولا علاقه لها بأرض الواقع المعيش لديه ، وفى إطار الوهم والسراب شغلته الغدران والظلال ، ونسى الحقيقة المرة التى امتلأ بها هذا الواقع ، إنه كالظمآن الذى يسير فى الصحراء وكلما

رأى سرابا تخيله ماءً وغدرانًا يرتوى منها ، فبدا كمن يسير تحت وطأة حرارة شمس الصحراء المحرقة ، يتوهم بين حين وآخر وجود واحة غناء يجد فيها ظلا ظليلا يحميه من حرارة الشمس، لقد صور له الوهم وحب الصحراء الجانب المشرق منها ، ليعود متنبها من أوهامه وظنونه ، متذكرًا أنه أمام الجانب المظلم للصحراء ولنفسه معًا ، إنها الصحراء المقفرة حيث لا ماء ولا ظل ، وإذا به يعانى نيران نفسه المشتعلة ، وكأن حقيقة الصحراء تشاركه همومه وتتفاعل مع آلامه ، وتتوحد معه في مناجاة إنسانية رفيعة المستوى قوية الدلالة.

الصحراء - إذن - فى أحيان كثيرة حقل من حقول الألم والكآبة ، لا يسمع بين جنباتها سوى ترديد عواء الذئاب أو عزيف الجن بمنطق القدماء .

ويلقاه هنا ذلك الوجه الواقعى للصحراء ، حيث تتراءى أمامه وقد ارتدت ثوب القفر ، ولم يعد يرى منها إلا ذلك المكان الخالى الذى يتطلب ضياء يكشف طرقه ، وصحبة طيبة صالحة تسير على بركة الله حتى تصل إلى

هدفها وتحقق مقاصدها .

إنه إذن الجمع بين الرمزين : «الصحراء» و«القمم» فالرمز الأول هو وسيلة الوصول إلى الرمز الثانى ، والركب الذى يريد الوصول للقمة لابد أن يكون طيوراً قوية تمتلك أجنحة قوية تحلق بها فوق القمم ، تلك القمة الناتئة فى نهاية ذلك الطريق الصحراوى الوعر ، وهى «الغاية» التى يقطعه من أجلها .

والصحراء أيضا هى « البيد » على المستوى الجغرافى والنفسى أيضا ، تتحكم فى مساره إلى حيث تريد هى ، والصحراء أيضا هى « المهمه الغامض» فى مناجاته الصامتة معها.

ومع الصحراء يشغله طويلا أمر «الحادى» ليتحول عنده إلى «موتيف» متكرر يكشف عن بعد نفسى عميق عاشه من خلال حاجته إلى مثل هذا التوحد مع ذلك الحادى بخاصة ، أو من خلاله ، فلا مانع لديه أن يتحاور معه - كواحد من الركب - على دراية بالطريق مثله ، ولعل توحده مع الحادى ووصوله إلى القمة يوازى المنطق

القديم تجاه المفازة فمن قطعها فاز من أهوالها ، وهو منطق التحدى لأصحاب القمم دون سواهم .

كما تظهر ملامح تصويرية أخرى ، يتعلق بعضها «بالطبيعة» وبعضها «بالطفولة» ، وبعض آخر يكاد يصرح فيه بدلالة الرمز على نحو ما يبدو لنا فى فلك كثير من رموزه السياسية بصفة خاصة .

فعلى مدار الديوان ، تتناثر مشاهد من الطبيعة تتجه إليها خواطر الشاعر وتسجلها ذاكرته ، وينثرها قلمه ممزوجة بعواطفه ،وصادرة عن انفعالاته ، فكان لموقف الانتقاء منها -أو الانتخاب - لبعض العناصر والرموز صداه فى التعبير عن حالة معينة عاشها ، أو موقف تمثّله وعايشه مع مَنْ عاشه .

ويبدو الشاعر فى حواره مع الطبيعة أشد ما يكون انعطافا نحو حياته الباطنة ، فى لحظة استرخاء نفسى عاشها فى مقابل ما صوره من مشاهد الليل القاتم ، وهو ينتزع منه سعادته وبهجة حياته ، فإذا بإشراقة النهار ، ومشاهد النور تعكس الوجه الآخر الذى يعود إليه .

ومن رموز الطبيعة عند شاعرنا ، يلقانا «الخريف» مرحلة وسطي بين الرمزين الكبرين عنده: الربيع والشتاء، فنجده نموذجا للخمول والكسل ، ومحورًا للرفض من قبل الشاعر .

هو مدخل مرحلة ذبول وجفاف ، وابتعاد عن مباهج الحياة التى يحملها الربيع بين دفتَيْه ، وفيه تجف الشفاه ، ويسود الجفاف ، إنها مرحلة عجفاء فى كل شىء ، حتى جنة الله على أرضه ، أجمل بقاع الدنيا .

كما استطاع الشاعر من خلال رموز «الطبيعة» و«الطفولة» أن يحكى جانبا مشرقا يعكس إشراقة نفسه فى تجاوبها مع رموز البعث والحياة ، وقد شغلته معاناة الذات من خلالها ، ولكنه كان أيضا ابنا لمجتمعه وعروبته التى ما فتئ يعتز بها كثيرًا حتى أصبحت تلك الرموز قاسمًا مشتركًا بينها جميعًا .

وهكذا بدت التعدُّدية مفتاح شخصية شاعرنا ، فمع الرموز الكبرى نجد لديه بعضا من ملامح الرمزية الأسطورية التي ترددت فيها صور الملكات وربات الشعر

والجمال والسحر والغناء من فينوس إلى ديانا إلى بسيكة (الأولى للحب والجمال ، والثانية إلهة القمر عند الرومان، والثالثة أميرة في الأساطير الإغريقية) مع ترديد أطراف من أسطورة إيزيس وأوزويس خاصة حين عادت سيناء إلى أحضان أمها الكبرى مصر .

ولعل مصادر الرموز لديه عكست جوانب من علاقته الحميمة بالطبيعة ، كما انطلقت من مكنون تراثى عميق أساسه الثقافة الشعرية ، والاطلاع على المنحى الأسطورى فى التاريخ ، ثم كان جنوحه إلى الواقع بأحداثه وشخوصه مدخلا آخر إلى تلك الرمزية التى امتدت إلى لغته الحوارية والقصصية فى كثير من قصائده.

والحق أن شاعرنا لم يُسرف فى الرمزية ، ولم ينته منها إلى الغموض أو استساغه الطلاسم ، بقدر ما استطاع توظيفها فى خدمة معانيه وصوره على منهج كبار شعراء العربية فى عصورها الزاهرة .

★★★



وبعد فمـا قصدت من هذا العرض الموجـز سوى الإضاءة لهذا الديوان كشـفا عن تداخل تجارب الشاعـر بما لفَّها به من التصاعد والتنامي طبقا لصـدق دوافعه التى برىء فيها من شعـر المناسبـات وسلبيـاته ، فعرف طريقـه من منطلق الصـدق مع النفس والآخر ، ثم عـرف أدواته وملكاته من خلال الصقل الفكرى الذى تهيأ له دارسًا وباحثًا وأستاذًا ، فكان شعـره - بهذه المقايـيس - كاشفـا عن جوهر فهـمه لرسالة الشعر ، وعاكسـا لمنظور الإنجاز الفنى الذى حققته له رموزه فى هذا السياق .

تحـية لصـاحب الديوان ، وسـلامـا عليـه فى رياض الصـالحين بعـد أن ترك لنا من تراثه الأدبى ذلك الرصيـد المتميز من فن العربية الخـالد ، مكملا به مسـيرة الأقطاب الكبـار الذين أدركـوا مـاهية الشـعـر ، وأداته ووظائفـه ، وتركوا فيه من أرصدتهم ما خلَّد ذكرهم بيننا حتى اليوم .

جزيرةُ الحريَّة

(أحلام ما قبل الثورة)

فى زَوْرَقٍ من سـفينِ الوَهْـمِ منطلقٍ

له علـى المـوج رِحْـلاتٌ وأسـفـارُ

بَنَتـهُ جنُّ سُليـمـانٍ لرِحْلتـه

فـوق الخِـضَمِّ إذا مـا ثار إعـصـارُ

سَرَى مـن الغَيْب لـم يَحْفِلْ بعـاصـفـةٍ

ولم يـقف دونَـه فى البـحـر تَيَّـارُ

مـضَيْتُ، فى صُحْبَتى حُوريَّةٌ كُشِفَتْ

لهـا من البـحـر أسـرارٌ وأخـبـار

حـوريةٌ مـن بنات الموجِ تُرْشِـدُنى

حـيثُ الخِـضَمُّ ضَـلالاتٌ وإقـفـار

مَـضَتْ بزورقنا يجتـازُ عـاصـفـةً

فى إثْـرِ عـاصـفـةٍ ، والبـحـرُ ثوّار

حـتى أتى صـخـرةً فى البـحـر نائيـةً

يَضُـمُّـهـا من عَـتِىِّ الموجِ هَدَّار

نأتْ عن الـشـاطئِ الرمليّ ، وانفَـرَدَتْ

كـأنهـا فى ظلامِ البَـحْـرِ أسـرارُ

رَسَـا بنـا الزورقُ المَسْـحُـور ، وانطَلَقَتْ

من حـولنـا كـالأمـانى البـيضِ أطيـارُ

***

جـزيرةٌ أبْدَعَـتْـهـا كفُّ خـالقـهـا

وعَـالَـمٌ كـلـه عِـطْـرٌ وأنـوارُ

أعـارهـا الخُـلدُ مـن ألوانه بِـدعًـا

قُطُـوفُـهـا من جنـان الخُلد تُـخْـتَـار

خَـضْـرَاءُ لم تَعـرف الدنيـا نَضَـارتهـا

أنَّى الـتَـفَتَّ فـأعـشـابٌ وأزهار

نَمتْ وتنمو ، ففى الودْيَانِ مُعْشِبَةٌ

وفى السفوح خَمِيلاتٌ وأشجار

أرخَى ضفائِرَه الصفْصَافُ ، وانهَدَلَتْ

لِلكَرْمِ والتينِ والزَّيتونِ أثمَارُ

والنّخلُ قامت كما قامتْ بناتُ هَوىً

الساقُ عاريةٌ والشَّعْرُ ثوَّار

تأوِى إليها الطيورُ البِيضُ صادحةً

لها بأحضانها الخضراءِ أوكارُ

فى كل عشٍّ خلا إلْفَان ضَمَّهما

شوقٌ إلى الوطنِ المحبوب قَهَّارُ

غابَا عن الروضِ فى دنيا عِنَاقِهِمَا

لِلطَّوْقِ طوقٌ ، ولِلمنقار منقارُ

والنَّحْلُ بين الرياضِ الزُّهْرِ آمنةٌ

ما راعَها فى طِلاَبِ الشُّهْد مُشْتَارُ

مواكب النور

تَنَاقَلَتْهَا شِفَاه الزَّهْر ساعية

كأنَّها في شفاه الزهر أخبارُ

دَوِيُّها يَمْلأُ الأسماعَ رائعة

من الصلاةِ كأنْ في الرَّوْضِ أحبارُ

ولِلْفَراشَاتِ أحلامٌ تداعبها

قد شَاقَهَا في السَّنا الدفَّاق نُوَّارُ

ألوانُه شَغَلَتْهَا فهي هائمة

لها طَوَافٌ على الألوانِ دَوَّار

وللظباءِ مِرَاحٌ في جوانبها

ما رَوَّعَتْها على الأيام أظفارَ

تأوِي إلى الماء ، لا ذُعْرٌ يُطَارِدُها

ولا خيالُ الدَّمِ المسفوحِ خَطَّار

على السفوح تَرَاهَا : تلك جائمَةٌ

وتلك تَرْعَى لها في العُشْبِ آثار

وتلك تَغْدو على الكُثْبان واثبةٌ

دَمُ الفُتُوَّةِ فى الجَنْبَيْنِ فَوَّار

وفى أعالى الرُّبى دُنْيا تَمُوجُ بها

بين الصخورِ ينابيعٌ وأمطارُ

تَفَجَّرَتْ أعينًا شتَّى مَسَالكُها

لها على الصَّخر تَصْخابٌ وتَهْدَار

تنسابُ فوقَ السُّفوح الخُضْر دافقةً

لها انحدارٌ إلى الوديان زَخَّار

فى كل وادٍ جَرَى نهرٌ يحيطُ به

من نَسْجِ كَفَّيه إشراقٌ وإنضار

جرتْ عروقٌ بمَيْتِ القفر نابضةٌ

بها حَياتان : جَنَّاتٌ وأنهارُ

على الضِّفافِ كتابٌ ، صفحتاه نَمَتْ

عليهما مِنْ نضيرِ العُشْب أسْطار

تألّقَ الزهْرُ فى أنحائها قِطَعًا
من الضياءِ كأنْ فى العُشْب أقمارُ
تضاحكَ الوَرْدُ فى أحضانِ واجمةٍ
منَ البَنَفْسَجِ .. إعلانٌ وإسرارُ!
وأشرقَ الياسَمِينُ الغَضُّ ، وائتَلَقَتْ
براعمُ الفلِّ ، والعَبَّادُ دوّارُ
فى كل رُجْءٍ حياةٌ لا تفارقُهُ
كأنما قَرَّ فى الأرْجَاءِ آذارُ
وعَالَمٌ من نشاطٍ دافقٍ ، وصِبًا
لا يستقِرُّ ، وإقبالٌ ، وإدبارُ
نضارةٌ ماذَوَتْ يومًا .. لقد غَفَلَتْ
عنها مَنَاجِلُ صَاغَتْهُنَّ أقدارُ!

***

دنيا من السِّحر ، لكنَّ الطريق لها
من كل أرجائه حفَّته أخطار
البحرُ من حولها عاتٍ كأنَّ قُوىً
مجنونةً هيَّجته فهو موَّار
كأنما انطلقت فيه أبالسةٌ
أنفاسها الحُمرُ في أمواجه نار
في كل ثورةِ موجٍ قد علت لُغة
للجنِّ ، ألفاظُها ريحٌ وإعصار
لا تسْمَعُ الأذنُ منها غير مُغْولةٍ
من الرياح ، لها في السَّمع إنكار
وغيرَ صوتِ استغاثاتِ هنا وهنا
يُضيعها صاخبٌ في البحر هدَّار
جُنَّ الخضمُّ ، فلا لونٌ تراه له
فإنما هو حالاتٌ وأطوار

مـســـالكٌ من ضـــلالٍ تـائهٍ ، ورُؤىً

لا تسْـتـقِـرُّ ، وأشـبـاحٌ وأسْـتـار

وعُـصْـبـةٌ من ذئابِ الـبـحـرِ فـاتكةٌ

لـهـا عـلـى الموج غـاراتٌ وآثارُ

تفـرَّقـوا شُـعَـبًا شـتىً يُؤلِّفُـهـا

شَـرٌّ تـغَلْغـل فى الأعـمـاق غـدَّار

دارتْ سـفـائنُهم فى كـل ناحـيـةٍ

وفـوقـهـا أوجـهٌ دارتْ وأبصـارُ

يرنُـون للأُفـقِ المُمْـتـدِّ حـولـهمُ

لهمْ على الشـرِّ إلحـاحٌ وإصـرار

باعـوا بِحـانـات إبْليسٍ نفـوسـهُمُ

للـنارِ ، أيامُـهُم خَـمْـرٌ وخَـمَّـار

حـول الجـزيـرة قـد عـاشـو قـراصنةً

شَـرٌّ يطـوفُ به فى الـبـحـر أشْـرارُ

لا يـأذنُــون لحىٍّ أن يمـر بــهـــــــا

دون الجـــــــزيـرة أهــوالٌ وأخـطـار

كم حُطِّـمتْ سُـفُنٌ من دونِ شـــاطئـهـا

وكم طـوتْ من ضـــحـــاياهُـنَّ أغـــوار

وكـم تقـــاذفتِ الأمـــواجُ مِنْ أملٍ

وكـم تولَّـتْ مع الإعـــصـــارِ أوطـار

***

لكنْ على الشـاطىء السِّـحْـرِىِّ فـاتنةٌ

ترنُـو لهـــا من رِفَـــاق البَـحْــر أنـظارُ

حُــورِيَّةٌ لـم تَرَ الأمـــواجُ فِـتْـنَتَـهـا

ومـــا رأى شِبْـهَـهَـا فـى البـحـرِ بَحَّــار

أمـــيـــرةٌ دَانَت الـدنيـــا لإمْــرَتِهـــا

أنَّى اسـتـقـرتْ فـإجـلالٌ وإكـبـار

لهـاباعلى الـذُّرَى فى حِـصْنٍ شـامـخـةٍ

حِـصْـنٌ منيعٌ يَرُدُّ الطرفَ جَـبَّـار

تَنْسَابُ من تحته الأنهارُ ثائرةً
تَدَفَّعَتْ لُجَجٌ فيها وأغمار

عرشٌ لها فيه قد صاغته ساحرةٌ
لها نُفُوذٌ على الأمواجِ أمَّار

شمطاءُ عَاصَرَت الدنيا ،كأنهما
أختانِ ، عُمْرُهما الممدودُ أعمار

أهْدَى الزمانُ إليها فى زواجهما
سِرًا من العِلم ما ضَمَّتْه أسْفَار

حُورِيَّةُ البحرِ تحيا فى جزيرتها
هَذِى العجوزُ ، وقد ضَمَّتْهُما الدارُ

قد أفْرَغَتْ عِلمَهَا الشَّمْطَاءُ فى قَدَحِ
مِنَ الشَّراب له فى الجسم أسْرَار

يُسْقى الشبابَ شبابًا لا يُلِمُّ به
شتاءُ شَيْبٍ ، ولا تُذْوِيه أذهَارُ

وقـدّمـتـه إلى العـذراء مُـؤتلقـا

في ليلة كلُّهـا رعْـدٌ وإعـصـارٌ

تجـرَّعـتـه شـبـابًا خـالدًا أبدًا

ليـسَتْ تُبـيـدُ صبـاه الغَـضَّ أعـصـار

ونَمَّـقتْ عـرشَـهـا المسـحـورَ من دُرَرٍ

جـادتْ بهـا مِنْ كنوز البـحـرِ أغـوارُ

على قـوَائم ياقـوتٍ مُـزَرْكَـشَـةٍ

أتَى بـهـا مـن جـبـال الجنّ سَـحَّـار

لهـا أكـاليلُ قـد جـاءت بلُؤلـؤها

على مناقـيـرهـا الحـمـراءِ أطيـارُ

يَـرْقَى لـه دَرَجٌ أهـدته مِـنْ سَـبَـأٍ

بَـلقِـيـسُ ، بَـلُّورُه مـوجٌ وأنـوار

عـرشٌ علـي الماء لـم يَحْـلم بـه مَلِـكٌ

ومـا رأتْ شِـبْـهَـه في الوَهم أفكارُ

لا تَسْتَقِرُّ به العذراءُ .. في دَمِهَا
شوقٌ لحرية عذراءَ جَبَّار

طوراً تراها على الشطآنِ واثبةً
تَلْهُو ، وطوراً لها في الموجِ مِضْمَار

وتارةً في السُّفُوحِ الخُضْر شاديةً
لها غناه على الآفاق سَيَّار

كم سامَرَتْهَا علي أمواجِ شاطئها
عرائسٌ من عَذَارَى البحر أبكارُ

وبادَلَتْهُنَّ أحلامًا مُعَطَّرَةً
لهنَّ طولَ الليالي البيض أسمار

كم رَدَّدَتْهَا شفاهُ الموج، واستمعتْ
لها مع الريح آفاقٌ وأقطَار

***

دونَ الأميرة كم لاقى مَصَارِعَهم
طُلَّابُ مجدٍ لهم في المجد أسفَار

مــواكِبُ المَجْدِ مــا خــارتْ لمصرعــهم

مــــا أدْرِكَ المجـــدَ فِى دُنْيــــاهُ خَـــوَّار

مــــواكـبٌ لم تزل تمضى لغــايتـــهــــا

لا الماءُ يَـمْنَـعُـــهـــــا عنهـــا ولا النـارُ

تنســـابُ بـين أعـــاصـــيــــرِ وقــرْصنة

يقـــودُهـا من ســيـــوفِ الحقِّ بتَّــــار

على الجــــزيرةِ آمـــالٌ تـداعـــبـــهم

لهـــا بأنفـــســـهم كــالخَــمْــرِ إسكارُ

هنـاكَ دنيـــا من الأضـــواءِ مــشـــرقـــةٌ

لم تَغشَ آفــاقَــهــا البــيــضــاءَ أكـدار

تبــدو الطبــيــعـةُ فـيــهـا وهى واضـحـةُ

مــا حَــجَّـبَـتْــهـا عن الأنظار أسْـتَــار

دنيـــا مــثـــاليَّـــةٌ مــازار شـــاطِئَــهـــا

حـــقـــدٌ ، ولا جـــاءها بالـغـــدْرِ غَـــدَّار

مواكب النور

خلتْ من الظُّلمِ ، لا أسرٌ يُقيِّدُها
عن الحياةِ ، ولا بالقيدِ إنذار
حريةٌ أُطلقَتْ من كلِّ آسرة
وما حوتْ خيلَها الحمراءَ أسوارُ
على الجزيرة قد رَفَّتْ حمائمُها
وفاضَ منها على الأرجاءِ تيَّار
لا غاضبٌ يَحسب الدنيا له خَضَعَتْ
يلقَى الذى يَشتَهى منها ويَختار
ولا أذِلاَّءَ للأغلال قد خَضَعوا
حياتُهم تحتَ نيرِ الذلِّ تنْهار
تَمْضي حياتُهم ، والقيدُ حولَهُمُ
كما تَعَثَّرُ في الأغلالِ أفكارُ
شريعة الذئب لم تُعْرَفْ بساحتها
ولم يُهَيِّئْ شِفارَ الذَّبح جَزَّارُ
الكلُّ فيها سواءٌ ، ليس بينهمُ
عبدٌ ولا سيِّد.. الكلُّ أحرارُ

مواكبُ النُّور

(أحلام تحققت)

انظري كـيف تَنْجَلي ظُلَمُ الليـ

ـلِ ، وتبدُو بشائرُ الأضواءِ

ويلوحُ الصباحُ في الموكب الفضّيّ

يجلو غياهبَ الظلماءِ

فارسٌ أبيضُ الجبين ، عليه

من بياضِ الضياءِ أبْهَى رِداءِ

ملأتْ خيْله السماءَ، وراحتْ

تنشرُ النورَ في رحابِ السماءِ

لَبِستْ في لقائه الأرضُ أثوا

بَ جَمالٍ ، وفتنةٍ ، وبهاءِ

واسـتـجـابتْ لـمَـسِّـه الدافىء الـنا
عمِ فى فــرحــةٍ وفى خُـيَـلاَءِ
تَكْشِفُ السِّـتـرَ عن بَرَاعِـمِـهـا الخُـضْـ
ـرِ ، وتُوحى لِطَـيْـرِهـا بـالغِنَـاءِ
يا جـمـالَ الحـيـاة وهى تُلاَقـيـ
ـه كـمـا يُقَـبِلُ الحـبـيبُ الـنائى !

***

انظرى الـشـرقَ ، واذكـرى لى جَـمـالاً
راعِـىَ النُّـور في الـرُّبَى الخـضـراءِ
أشـرقَ الـفـجـرُ بين كَـفَّـيْـه يمحـو
ظُلْـمَـةَ الليل بـاليـدِ البَـيْـضَـاءِ
غَـمَـرَ الأرضَ بالـهُـدَى فـاسـتـقـامتْ
فى رُبـاهـا قـوافـلُ الأهـواءِ
وأفـاض الصـفـاءَ فـيـهـا ، فـمـاجت
حـول يَنْبُـوعِـه جـمـوعُ الظِّمَـاء

مـــلأ الشـــرقَ بالـضـيـــاء، وألـقى

عن بـنيـــه سَـــتَـــائرَ الإغـــفـــاء

اذكـــرى لـى الرئيسَ يَكْـشِفُ عن مـــضـ

ـــرَ ســـتـــورَ الظـلام والإدجـــاء

ويزيـلُ الحـــجَـــابَ عن ســرِّهـا الخـــا

فى فـــتُـــبْـــدِى كـــوامـنَ الأنبـــاء

ويُجَـلِّى الرَّمـــاد عـن جَـــمْـــرها الخـــا

بى ، ويُـورِى الشـــبـــابَ في الأحْـيـــاءِ

ويعـــيـــدُ الحـــيـــاةَ في الأملِ الـقَـــا

نِى فـــتَـــحْـــيَـــا به مـــعـــانِى الرَّجـــاءِ

ويُبثُّ الطمـــوحَ في الشّـــعـب حـــتى

يَرْفَـعَ الشـــعبَ للـذُّرى الشَّـــمَّـــاء

فـــإذا الشـــعبُ بعـــد طولِ دياجـــيـ

ـــه ينســـابُ فى غـــديرِ الـضـيـــاء

مواكب النور

يَنفُضُ النومَ والخمولَ ويهتزُّ
نشاطًا فى قوةٍ وفَتاء
رائدٌ للذرى الرفيعةِ يسمو
بجموعٍ من شعبه أقوياءِ
خَلَّفُوا السفحَ ، واستقامتْ خطاهم
إنما السفحُ منزلُ الضعفاءِ
وقَفوا في الذُّرَى ينادُون مَنْ فى السـ
ـفح : هيَّا للمجد والعلياء
اتركوا السفحَ والظلامَ ، وهيَّا
للذُّرَى البيضِ والسَّنَا الوضَّاءَ
فإذا السفحُ موكبٌ يتسامَى
للذُّرى في عزيمةٍ ومَضَاء

***

انظرى الشرقَ ، ياجميلةُ ، ينسا
بُ سناه فى سائرِ الأرجاءِ

انظرى هذه المواكبَ تنسا

بُ على ضوئه انسيابَ الماء

موجةٌ بعد موجةٍ بعد أخرى

فى خضمٍّ يمتدُّ ملءَ الفضاء

انظرى يا جميلتى ! إنه النُّو

ر يُعيدُ الحياةَ بعد الفَناء

واسمعى ! إنه غناءٌ مع النو

رِ جميلُ الأنغامِ والأصداءِ

انظرى كيف تنجلى ظُلَم الليـ

ـلِ ، وتبدُو بشائرُ الأضواء

ويلوحُ الصباحُ في المواكب الفِضِّىِّ

يجلو غياهبَ الظلماء

فارسٌ أبيضُ الجبين ، عليه

من بياضِ الضياءِ أبهى رِداءِ

مواكب النور

موسيقَا الفَجر

مواكب النور

صحا الكونُ من بعدِ طولِ السُّبَاتْ
واغرقَ فى النُّور ألوانَهُ
وفَرَّتْ طيورُ الدجى حائراتْ
لقد فَقَدَ الفُلكُ شُطآنَهُ
ولاح الصَّباحُ وَضِئَ الشِّياتْ
فكَشَّفَ للسِّرب أوطانَهُ
وعَمَّ الوجودَ ضياءُ الحياةْ
فأضفَى عليه صِبَا زانَهُ
سَقَتْهُ شفاهُ السنا الباسماتْ
رحيقَ الصفاءِ وألحانه

ورقّت حَــوَاشِــيــهِ بـالمُغــرياتْ

أفــاضَ بهــا الفَــجْــرُ فــتّــانَهُ

ومـاسَتْ على الشـرقِ أفراحُ عُـرْسِ

ومــاجتْ من الأفق أصــداءُ هَمْسِ

وأترَعَ لى الـفـحــرُ من كلِّ كــأسِ

فُــخــيِّـلَ لى أننى لـستُ نَفْــسِى

فُلوحِى ، حيـاتِى ، شـروقًـا لأُنسِىُ

فـأنتِ ضـيـائِى وفَجْرِى وشَـمْـسِى

***

وفى الـشّــرْقِ شَبَّ لَـهِـيـبُ الصــبــاحْ

كـــقـلـبِى فـى نارِ تَـهْــيــامِــه

يُحَــرِّقُ ســتــر الـدجى والوِشَــاح

ويَـصْــبغُ حـــالكَ أعــلامِــه

ولاحتْ خــــدودٌ بـلـون الجــراح

يـكَـشِّــفن ألـوان إظـلامِــه

خـــــدودٌ شـــــربْـنَ دمـــــاءَ المِلاَح
يُـغـِــــــرنَ لـواعـجَ أحـــــلاَمِـــــــه
وقـامتْ صَـبَـايا الصَّـبَـاحِ الصَّـبَـاحْ
يُـنَبِّــــهـن وَسْنانَ أكــــمـــــامِـــــه
ويَسكُبْنَ حــــول النُّحـــورِ الوضـــاحْ
نـدىً فى عُـــــذُوبة أنـســــامِـــــه
كـئـوسٌ من الماسِ تُغْـرى بِـلَمْس
رأيْـنَ هواهُـنَّ في كلِّ غَــــرْسِ
فـطَـوَّقْـنَـهُ فـى حنـانٍ وهَـمْسِ
ومِـلْـنَ عليـــــه بَلْـثمٍ ومَـسِ
فلُوحِى ، حيـاتى ، شـروقًـا لأنسِى
فـأنتِ ضيـائى وفَجْرى وشَـمْسِى
***
ودبَّ الشـــبــــابُ بكـلِّ البِـــقـــاعْ
لقــــد أوْقَــدَ الفــجــرُ نِبْــراسَــهُ

مواكب النور

وذابَ الكَرَى حــين لاحَ الشُّـــعـــاعْ

فـــأيـقظَ فى الـكون إحـــسَـــاسَـــهُ

والَـقى الـوُجـــــــودُ ظَـلاَمَ الـقِـنـاعْ

وأرسـلَ فـى الـنُّور أنـفــــاسَـــــهُ

ومَــــــــــدَّ الـظـلامُ يـداً لـلـوَداعْ

وَوَلّـى ، ومـــــدَّ السَّـنـا راسَـــــهُ

وَشَـقَّ الـسَّـكِـيْـنَـة طَـيْــــــرٌ أذاعْ

سَـــلاَمَ الـصَّـــبـــاح وإيـنـاسَـــهُ

فكُـلُّ الطيـــورِ مــجـــيـبٌ وَداعْ :

لِيَـسْـــتَـــقْـبِلِ الكـونُ أعْــراسَـــهُ!

وغَنَّى الـصَّبـاحُ بأعــذبِ جَــرْسِ

وصَبَّ السَّنا دفْـئَـه مـلءَ حِـسَّى

وغَــرَّد طـيــرُ الرجـــاءِ بنفــسى

يـكـشّـفُ ، عـن أمـلى كـلَّ يـأسِ

فَلُو حى ، حيـاتى ، شروقـًا لأُنْمسى

فـأنتِ ضـيـائى وفَجْرى وشَـمْـسِى

يقظة النِّيل

(القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة مجلة «الكتاب» سنة ١٩٤٧ أمام لجنة تحكيم مؤلفة من الأساتذة الشعراء : خليل مطران وعباس العقاد وعلى الجارم وعادل الغضبان والأستاذ أنطون الجميل)

مواكب النور

فى الضِّفافِ التى يموجُ بها السِّحـ

ـرُ ، ويَنْهَلُّ في حماها الضياءِ

وتَضُوعُ الأزهارُ فى جَوِّها الرَّحْـ

ـبِ ، فتهفُو لعِطرها الأرجاءُ

حيثُ يبدو الفضاءُ يَزْخَرُ بالنُّو

ر ، وحيثُ الحياةُ والأحْيَاء

والحقولُ التي يَفَيضُ بها الخِصْـ
بُ ، ويَجْري على رُبَاها الرّخَاء
وسطورُ النخيلِ قامتْ عليها
حارساتٍ تَهُزُّها الخُيلاء
وبساطُ الأعشابِ يمتدُّ بالعيـ
ـنِ إلى حيثُ تحتويه السَّماءُ
وعلى النَّبعِ حيث يَصْطَخِبُ المو
جُ ، وحيث الدَّويُّ والضوضاءُ
والتفافُ السُّمَّارِ حول لهيبِ الـ
ـنارِ تعلو طبولُهُمْ والغِناء
تستجيبُ الغاباتُ للنَّغَمِ البِكْـ
ـرِ ، وتُلْقِي بسَمْعِها الظلماءُ
خَطَرَ النيلُ في مواكبِهِ الخُضْـ
ـرِ ، عليه مِنَ الجلالِ رِداءُ

مَلِكٌ عاصرَ الزمانَ من المَهْـ
ـدِ ففيه من الزمان البَقاء
وحكيمٌ قد علَّمَتْه الليالي
فَلْسَفاتٍ لم يَدْرِها الحُكَماء
وأرَتْهُ الأيامُ أرْجُوحةَ الدهـ
ـرِ وكيف السَّرَّاءُ والضرَّاءُ
لا نعيمُ الحياة دام على الد هـ
ـر ولا دام في الحياةِ شقاءَ

***

خَطَرَ النيلُ في مواكبه الخُضْـ
ـرِ تُدَوِّي بسمعه أصداءُ
ذكرَ الماضيَ المُعَطَّر بالمجـ
ـد ودنيا شبابها وضَّاء
يوم كان الوجودُ يهتفُ : يا نيـ
ـلُ ! فيُصغي الإصباحُ والإمساء

يوم كـــان الزمـــانُ يمضي بما شـــا
ءَ ويَجْـــرِي على مناه القَـــضَـــاء
يوم كـــانت أمـــجـــادُه في فمِ الدنـ
ـــيـــا تُدوِّي بذِكْـــرِها الأنحـــاءُ
يوم كـــانت ضِـــفَـــافُـــه في ضِـــيـــاءِ
وعلى الكونِ كـلِّـه إدجـــــاءُ
يوم كـــانتْ ، ويـوم كـــانَ .. ومَـــرَّتْ
صَـــفَـــحـــاتٌ من سِـــفْـــرِه غَـــرَّاء
تَتَـــوَالى سطورُها تحت عـــينيـ
ـهِ ، كـــأنْ ليس للسطورِ انتـــهـــاء
صَـــفَـــحـــاتٌ سطورُها العِـــزُّ والسُّـؤْ
ددُ والمجـــــدُ والعُـــــلاَ والإباءُ

***

وضَعَ النِّيلُ سِـــفْـــرَه ليـــرى الحـــا
ضِـــرَ غَـــشَّـــتْ سُطُورَه أخطاءُ

ورنَا حـــــولَــه تـدورُ بـه الـدُّنــ
ـيــا ، وفي الـقلبِ حــســرةٌ ورجــاء
حَــرَم النيـلِ قــد غــدتْ في نـواحـيــ
ـــه وجـــــوهٌ عن أهـلـه غُـــــربَـاء
فُــرْقــةٌ يبــتــغـونـهـــا بين شَطرَيْــ
ـــه ، عليـــهـــا من الخِـــداَع طِـلاءُ
صـلةُ الجنسِ والـتـــقــاليـــدِ والمـا
ءِ يُـريدُ انـقطـاعَـــهـــا الـدُّخَـــلاءُ
لبِــســوا فـى الجَنُوب أثـوابَ حِـــربا
ءٍ ، وضـــجُّـــوا بـأنهـم أوفـــيـــاء
ومـــضـــوا يَزْعـــمُـــون زُوراً وإفْكًا
أنـهم فـي ربوعـــه نُـصَـــحَــــاء
ضَـلَّلـوا أهلـه بمَعْــسُـــول قـــولٍ
فـــيـــه من كـــاذبِ المُنَـى إغــراء

لو كَشَفْتَ القناعَ عنه لبانتْ

خلف إغرائه مُنىً حَمْرَاءُ !

***

نَفَضَ النيل عن كواهله الذلَّ

وهَزَّته عِزَّةٌ قَعْسَاءُ

وأطاحتْ قيودَه عن يديه

همةٌ ملءُ قلبه شَمَّاءُ

وتهَاوَى من نفسه كلُّ ضعف

كهشيم أودتْ به هَوْجاء

ومعانى الحياة ثارتْ بجَنْبَيْه ، كما ثارَ فى الربيعِ الفَتَاءُ

كيف يمشى بَنُوه فى كَنَفِ الذل ؟

وأينَ الإباءُ والكبرياء ؟

كيف يحيا الأحرارُ والوطنُ الخالدُ تحيا بأرضه الأعداءُ ؟

كـيف يدعو دُعَاتُهمْ لانفصال؟

باطلٌ واضحٌ وقولٌ هراء !

وَحْدَةُ النيل ليس يَفْصِمُها الكيـ

ـدُ ولا دعوةٌ لهم رعناءُ

عُرْوَةٌ من عُرَى الإله ، فلن تَقْـ

ـوى عليها الخلائقُ الضعفاء

مصرُ أختُ السودانِ منذ جرى النيـ

ـلُ ، ومَنْ فيهما له أبناءُ

***

سَمِعَ النيلُ فى الشَّمال هُتَافا

وتعالى من الجنوب نِداءُ

هم بَنُوه فى الشاطئين استجابوا

لأبِيهِمْ ، وكلُّهُمْ نُصَراء

ومَضَوْا فى طريقهم ، ومن الحقِّ

دليلٌ لركبهم وحُداءُ

هـدفٌ واضحٌ تـآخَــــوْا علـيـــــه :
وَحْـــــدَةُ الـنـيـلِ كـلِّـه والجَـــــلاءُ

***

وبدا الـنيلُ في مـــواكـبـــه الخُـــضْـــ
ـرِ كـــمـــا قـــام في القِـــتـــال الـلِّواءُ
يَرْقُبُ الشـــرقَ وهو يصـــحـو مع الفـجـــ
ـــرِ ، وفـى الأفـق للـسَّنـا أنـبــــــاء
ويرى الـنورَ فـى تَدَفُّـــقــــهِ الـصــــا
فِى كـــمـــا انـســـابَ فى الغـــديـرِ الماءُ
يَجْـرُفُ الظلـمـةَ الـكـئـيـبـةَ فى التيَّـ
ـــار ، حـــتى تَعُـــمَّـــه الأضـــواء
أُفُقُ الـشـــرق ســـوف يغـــمُـــرُه الـنور
رُ ، وتُـجْلَى ســــتـــورُه الـســــوداء

قِطَعُ الـلـيـل لم تـزل فى نـواحـــــيـــ

ـــهِ ، ولـكنـهـــا بهـــا أشـــلاء

مـــوكبُ الصـــبح فى غـــلائله البِـيـــ

ـــضِ تَبَـدَّتْ أعـــلامُـــه البـيـضـــاء

الفَجْرُ

(تحية إلى الأرض المباركة التى
أيقظت نيرانها الشرق المجيد ..
فلسطين سنة ١٩٤٨)

صَحَوْنا كما يصحُو السَّنا بعد ليلةٍ
تكَاثَر فيها الغيمُ ، واحتَجبَ البَدْرُ
أضاءتْ لنا الآفاقُ بعد كآبةٍ
وشَبَّ لنا فى كل داجيةٍ فَجْرُ
نَفَضنَا الكرى عنَّا ، وعادت حياتُنا
وأجَّ بها من بَعْدِ ما خَمدَ الجَمْر
ولاحتْ لنا الدنيا حقائقَ بعد ما
طواها زمانًا بين أوهامِه سِتْرُ

رأينا على ضـــوءِ الصـــبـــاحِ طريقَـنَا

فـسـرنا علـى اسم الله يُطوَى لـنا القَـفْـرُ

تدانـتْ لنا الغـــايـاتُ وهى قـــصِـيّــةٌ

وهانَ عـلينا فـى مـــســالـكهـــا الوَعْـــرُ

طَوَيْنـا لهـا القَـــفْـرَ الضَّلُول عـــزائمـًا

تَهَـاوَى عليـهـا اللـيلُ والشـوكُ والصـخـرُ

لنـا من ضـــيـــاءِ الحقِّ هـادٍ يقـــودُنا

إلى حـيـثُ تلقـــانـا منازلُهـــا الخُـضْـر

منـازلُ كنـا أهلِيــهَـــا ، فـــأبْعــدَتْ

مـــواكِـــبَنَا عـنهـــا الخـــديعـةُ والـغَـــدْرُ

سَنَـلقَى بـهـــا الظلَّ الـظليـلَ ، وجـــدولاً

كـــريمًا ، وجـنات يموجُ بـهـــا سِـــحْـــرُ

هو المجـــدُ نَـنْسَى الـهـــولَ فى طُـرُقَـــاتِهِ

ويَدْفَـــعُنَا فـيـــهـا لغـايـاتنا الصَّـــبـــرُ

سنمــضِى ، ولو طال الطـريقُ ، إلى الذُّرَى
فــمــا غــيــرَ أكناف الذُّرَى يَنْـزِلُ النَّسْــرُ

***

سَئِمْنا حــيــاةً فـى الســفــوح ، وشــاقَنَا
بأعـلى الـذرى مـــجــــدٌ يُخـلِّدُه الـدَّهْرُ
ومــا الســفحُ دنيــانا ، ولـكنهــا دُجىً
رمــانــا بهــا غَــدْرُ الســيــاســةِ والمَكْرُ
حَبــائل ألقــتـهــا من الغَــرْب عُـصـبـةٌ
قلـوبُهُمْ ســـودٌ ، وُجُـــوهُـهُمْ حُـــمْــرُ
خُــدِعْنا بــهــا ، إنَّـا بنى الشــرقِ فــتــيــةٌ
قــولبَــهُمْ بـيضٌ ، وجــوهُـهُمْ سُــمْــرُ
ولم نَـصْحُ إلا والـقـــيـــودُ ثقـــيـلةٌ
ينوءُ بهـــا فـى كلِّ نــاحـــيـــةٍ حُـــرُّ
نُصَـــدُّ ، ومـــرعـــانا مجُـــوس خـــلالَه
ذئابٌ تَـبَـــدَّى بـين أنيـــابهـــا الشـــرُّ

أتتـهُ ومـا فـيـه سـوى البـشرِ والـسَّنا

وخلَّتْـه مـا فـيـه ضـيـاءٌ ولا بِـشـرُ

هشـيـمًـا تولتْ عنه ، غـيـرَ بـقـيـةٍ

تَعلَّـقَ فـيـهـا النابُ ، أو أُنْشِبَ الظُّفْـرِ

نظرنـا حـوالينـا ، فـلا الشـرقُ كـالذى

عـهِـدناه : لانـورٌ هنـاك ولا عِطـرُ

ولـكنـه لـيـلٌ طـويـل تَـتَـابَـعَـتْ

دياجـيـه فى مَـدٍّ ، وليـس له جَـزْرُ

ولـكنـه سـفـحٌ جـديبٌ تـكاثـرتْ

أفـاعِـيـه وانسـابتْ فـهـاجَ به الذُّعـر

وَقـفْنَا عليـه نَحـصُـدُ الشـوك والدجى

وغُـلاّتُنـا الأدواءُ والجَـهْل والـفـقـرُ

***

وفى قلـبِ مـرعـانـا أفـاعٍ خَـبِـيـثـةٌ

رَمَـانـا بهـا مـن كل ناحـيـةٍ جُـحْـرُ

ثعـــابينُ أجناسٌ كـــثـيــرٌ تَخَـالَفَتْ
وألَّفَ منهـا فى طبـائعـهـا خَـتْـرُ
يُجَـمِّـعـهـا حـاوٍ من الغـرب غـادرٌ
كـــمـــا جَـــمَّعَ الأوْبَاءَ الوَخَـمُ الحَـرُّ
صَـفِـيـرٌ دعـاها من شَـتِـيتِ جُـحُـورِها
لِيَــجْــمَـعَــهـا فى قلبِ فـردوسنا وَكْـرُ
فلسطينُ مـرعـاكُم ، سـتَلْقَـوْن بينهـا
غَـــضَـــارَةَ عـــيشٍ كلُّ أيامـــه نُضْـــرُ
أعـيـدوا لإســرائيلَ دنيـا قـد انقـضتْ
فـقـد آنَ من بعـدِ الممـاتِ لكم نَـشْـرُ
كَـذَبْتُمْ ، ثعـابينَ الجُـحُـورِ ، فـمـالكُم
بأرضِ فـلسطينَ حـيـاةٌ ولا عُـمْـرُ
وإنْ هِـىَ إلا جَـوْلَـةٌ عـربيـةٌ
وتَمْـضُـونَ ، لا مـجـدٌ هناك ولا ذِكْـرُ

لئنْ كانَ حاوي الغربِ أتقنَ سحرهَ

فتحتَ ضياء الشرقِ لا يُفلحُ السِّحْرُ

***

بنفسيَ أبطالٌ تَمُوجُ جموعُهُم

كما يَهْدرُ الشلاَّلُ أو يَصْخَبُ البَحْرُ

دعتهمْ فلسطينٌ ، فَلَبُّوا دعاءها

وسالَ بِهِمْ من حولها الجوُّ والبَرُّ

فلسطينُ ، إمَّا النصرُ في ساحةِ الرَّدَى

وإما على الأرضِ الطَّهُورِ لنا قَبْرُ !

تأملْ ، أخى ، جيشَ العُرُوبة مقبلاً

تَرَبَّدَ منه الوجهُ ، وابتسمَ الثَّغْرُ

يَدُكُّ حصونَ الظُّلم دكًّا ، كأنما

أتاها مِنَ الرحمن فى سيفهِ الأمرُ

تَفِرُّ عصاباتُ النعام أمامه

رُوَيدًا ، أفَنُّ الحرب عندكم الفرُّ ؟!

فـإمَّـا أبَيْتُمْ فـاثنتـانِ أمـامَكُمْ :

همـا الموتُ إن شئتُمْ ، وإن شئتُمُ الأسْرُ

ومـا الكمُ والحـربَ ؟ عُـودُوا لما لكُمْ

تُنمُّـونَه ، فـالحـربُ آخـرُها خُسْـرُ !

سَـيُـثـأرُ آسـادُ العـرينِ لغـابهم

لك الـويلُ ، ياذؤبانُ ، إنْ أشْـعِـل الثَّـأرُ

تأملْ أخى وَاذْكـر إذا الأسْـد أغْـضِـبَتْ

فثَـارتْ ، وقل لى : كيف غاراتُها الحُمْر ؟!

***

ولـمـا رأوا أنَّ الـطـريـق إلـى الـذُّرَى

تدانَى لنا ، واهتَّـز فى ركـبنـا النصـرُ

وبـدَّدَ نورُ الـشـرق أحـلامَ ليـلهـم

ولاح لهـم مِن بَعْـد يُسْـرِهـمُ العُـسْـرُ

دَعَـوْا عـصـبـةً فى الغـرب تَـنْصُـرُ بَغْـيَهم

فلَبَّـتْـهُمُ ، والـوزرُ يَنْصُـرهُ الوِزْرُ

خشوا شَبَّةِ الأشبال ، إنْ هى أُطلِقَتْ

من القيدِ ، فى أعطافِها التِّيهُ والكِبْرُ

وَأرَّقَهُم أنَّا صحونا ، كأنما

صَبَاحُ ليالينا لياليهُم الكُدْرُ

هو الغربُ ، لا تَرْجُ الضياءَ من الدُّجَى

فحيثُ تغيبُ الشمسُ لا يشرقُ الفَجْرُ

صَحَونا ، ولاحَ الفجرُ أبيضَ مشرقًا

ولن تُغْمِضَ الأجفانَ ، أو يُدْرَكَ الوتْرُ

وأجَّ لهيبُ الثأرِ بين عروقنا

وعُدْنا كما كُنَّا لنا المجدُ والفخر

ولاح لنا الماضِى دليلاً يقودُنا

لمستقبلٍ ، أيامُهُ كلُّها غُرُّ

وأشرقَ من خلفِ الضَّباب صباحُنا

وعاد لنا من بَعْدِ إدبارِهِ الدَّهْر

ورنَّ نشـــيــدُ الفَـــجْــرِ في كلِّ جـــانب

من الشـرقِ ، قد صـاغتَـه مِنْ نُورِها مِصْـرُ:

صـحــونَا كـمـا يصــحُـو السَّنا بعــد ليلة

تكَاثَرَ فــيـهــا الغَـيْمُ ، واحـــتـجَـبَ الـبـدرُ

حَسْرَة

خرق الصهيونيون الهدنة فى جبهة النقب حيث يقف الجيش المصرى الباسل ، ووقفت جيوش الدول العربية موقف المتفرج من المعركة الحامية الوطيس برغم تصريحات رُؤَسائها بخوض المعركة جميعًا إن خرق الصهيونيون الهدنة فى أى جبهة من جباتها . وقد ترك هذا الموقف في نفوس المصريين حسرة قلت أصورها :

وقَالوا ، ونارُ الحرب تَكْتم غيظها

وإنْ لم يزلْ منها دُخَانُ حَرِيق:

لئن أوْقــدَتْ صــهــيـون نـيـرانهــا تجــدْ

مَـــــفَـــــاويرَ منَّا فـــــوقَ كـلِّ طريـقِ

وقلنـا ، وقــد شـبَّـت على «النَّقـب» نارها

وضـــاقتْ عـلى الأعــداء كلُّ مـــضـيـق :

سَـمـعنا ولم نشْـهـد ، فهل كـان عـهـدكم

كـمـا ضـــاع عند الفــجــر وَمْضُ بُرُوق؟

صَلِينا لظاهـا عــصــبــةً ، لم يكن بـهــا

فـــريـقٌ يخـــوضُ الـنار دون فـــريق

وعُـدْنا ، ومــا في الحـرب غـيـرُ كُـمــاتنا

يخــوضــون فـوق الحــرب نارَ عُــقُــوق

فـقلتُ ، وفي نفسي علي الشـرق حسـرةٌ:

صـــراعُ عـــدوٍّ أم صــراعُ صـــديق ؟!

أول يناير ١٩٤٩

تحية

(إلى الجيش المصرى الباسل الذى أدى واجبه على أكمل وجه فى معركة النقب الأخيرة حتى رد الصهيونيين مدحورين على الرغم مما جمعوه من عدد وعُدد من أقطار الأرض، مما اضطر أمريكا إلى أن تقوم بدور الوساطة بين الفريقين لقبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال) .

أقول ، ونار الحرب يخبُو لهيبهَا
وإنْ لم يزلْ تحتَ الرَّماد لها جَمْرُ
وقد عَاد للنَّقب الهدوءُ ، وإن يكنْ
هدوءًا عليه من دُخان الوغى سِتر



وكفَّ أســـودُ الـنيـل عن وَثَبـــاتهـم

ومـــا زال فى سَـــمْع الزمـــان لـهم زأرُ

يكـلِّل غـارُ الـنصـــر حُـرَّ جـبـاههـم

ويهــتــزُّ فى أعــلام رَكْـبـهـمُ الفـخـرُ

وعـــادتْ فلولُ الـغـــادريـن لعـــارهم

ولم يُجْــدِهم فى الحـرب كـيــدٌ ولا غـدْرُ

تَلـقَّــوْا عـلى أيـدى بنى الـنيل لَـطمــةً

يُســجِّلُـهـا فى ســفْـرِه الأســود الدهرُ :

مواكب النور

ألا يا اسلمى يـا مـصـرُ ، قـد أشـرقَ السنا

وضـــوأًا فى الأفق الفــسـيح لنا الفــجْــرُ

هو الجـــيـشُ يجلُـو الليـل عن خُـطُواتـنا

لمســتــقـبل عن مــشــرِق العــزِّ يفْــتَــرُّ

سلـمْـــتم أســـودَ الـنيل فـى كلِّ مـنزل

وعِــشْـتِ بأعلى ذُرْوَة المجــد يا مـــصْـــرُ

٩ يناير ١٩٤٩

عَوْدةُ الأبْطال

(تحية إلى أبطال سيناء . أكتوبر
ونوفمبر سنة ١٩٥٦) .

أقــولُ ، وقــد عــاد الكمــاة ، وأشــرقت
عــلـى الأفــق رايــاتٌ لــهـم وبنــودُ
وقــد لَـمــعتْ فـى الشـمـس منهم أسنةٌ
وفــوق الرؤوس الشـــامـخـــات حـــديدُ
ومــدَّتْ لهم مـــصــرٌ ذراعىْ مـشــوقــةٍ
رأت جــيـشـهــا بعـــد النضـــال يعُــودُ
جــحــافـل يمشى النصَــر فى خُطُـواتهــا
وتعْـنُو لـهـــا الأيـامُ وهى عـــبـــيـــدُ
يكـلَّل غـــارُ المَجْــد حُــرَّ جـــبــاههم
وللـشـــعب بالـفَـــتْح المبين نشـــيـــدُ :

هنيئـاً لهم، خطوا من المجد قصةً
يرددها تاريخه ويعيد
كتبتم لمصرٍ في الحياة قصيدةً
لها في شفاه العالمين خُلُودُ

***

كتائبُ قد صُفَّت ليوم كريهةٍ
لها عُدَّةٌ جبَّارةٌ وعديد
إذا نزلتْ يومَ الوغى حَومَةَ الوغى
فقد نَزَلتها جِنَّةٌ وأسودُ
وإن أوقدَتْ في ساحة الحرب نارَها
فليس لها غيرَ العدوِّ وقُودُ
كأنّي بها يومَ النفير تدفّقَتْ
جنوداً ومن بعد الجنود جنودُ
يُغشِّي ضياءَ الشمس ثائرُ نَقْعِها
وتَرْتَجُّ منها الأرضُ فهي تميد

أجـــابـتْ نداءَ الحـــــرب يوم تـألّبَتْ

على النيل أعــــداءٌ لـه وحُـــقُـــــود

تَجَـمَّـعَتْ الأحـزاب مـن كلِّ عـصْبَـةٍ

ذئـابٌ تعـــــاوَى : جــــائعٌ وطَريـدُ

كـمـا اجـتـمعَ الأحـزابُ ضـدَّ مُـحَـمَّـد

هو الشِّــرْكُ شِـركٌ واليــهــودُ يَهُــودُ !

***

أرى مــوكبَ الأبـطال يَزْحَفُ مُــقـبـلاً

حـــشــودًا تـراءت بعـدهـنَّ حـشـــودُ

على كـلِّ وجـهٍ أســمـرٍ عــزمُ صـارمٍ

وفى كـل صــدرٍ غَــضْـبــةٌ وَوَعــيــد

وراحت رُبَى ســيناءَ مـن كل جـــانبٍ

تَطَـلَّعُ كـــثــبـــانٌ بـهـــا ونُجُـــود

رأت فـتـيـةً باعــوا الحـيـــاة فـخُلِّدُوا

ألاَ كـلُّ غـــالٍ لـلخـلـود زهيـــــدُ !

تلاقـوا ووجـهَ المـوت أغـبـرَ عـابسًـا

تُـزَمْـجِـرُ فـى الآذان منـه رعــود

فلـم يُثْنِهِـمْ عن عـزمِـهِـمْ مـوقفٌ لـهم

ثَقِـيلٌ علـى عَـزْمِ الـكـمـاةِ شـديد

إذِ المَوْتُ مـن فـوقِ الكتـائب بـاسطٌ

ذراعَـيْـه ، والأيامُ ثَـمَّ شُـهُـود

وقـالـوا : هي الدنيـا سَـيَفْنـى حـديثـهـا

ويبـقَى حـديثُ المجـد وَهْوَ جَـدِيدُ

سنصـبـرُ إمـا النصـر في حَـوْمَـة الوَغَى

وإمـا علـى أرض الجـدودِ لُحُـود

وراحـوا يخـوضـون المنايا : فـصـابرٌ

كـريمٌ ، وثاوٍ فى التـراب شَـهـيـد

ولـم تَـكُ إلا غَـمْـرَةٌ ثم كُـشِّـفَتْ

وَأشـرقَ مـجـدٌ فى الصبـاح مـجيـد

صَحَونا ، وثار الثأر بين دِمائنا

فليس لنا بعد الصباح رُقُود

أطحنا بأغلال ثقال ، وحُطِّمت

على صخرةِ العزم الأبيِّ قيودُ

وفارتْ دماءُ العُرْب مِلْءَ عُرُوقنا

فلسنا عن الماضي المجيد نَحيدُ

سنمضي ، وما غيرَ الذُّرى منزلٌ لنا

كما سار آباءٌ لنا وجُدُودُ

الرَّبيعُ

مـثلما يُشْـرِقُ الرجاء من اليـأ … سِ،ويصحو السَّنا منَ الظَّلْمَاء

وَيدِبُّ الشفاء في الجَـسدَ الفا … نى، وتمشى الحياةُ في الأعضاء

هكذا أقــبل الربيــعُ إلي الكو … نِ كمـا يُقْبِل الحبـيبُ النائى

وتهـادتْ به مواكـبُه الخُـضْــ … ـرُ بســحرِ مُـعَطَّرِ وَضَّـاء

وجرتْ فى الوجودِ معجزةِالبَعْـ … ـثِ، وكيف الحيـاةُ بعد الفناء

نَفْخَـةُ الصُّور في أنـاملِ إسرا … فـيلَ رنَّتْ بسـاعةِ الإحـيـاء

فإذا الأرضُ صَـحْوةٌ تَنفُضُ المو … تَ، وتُلقِى عنهـا سوادَ الغِطاء

وإذا الكونُ في غلائله الخَضْــ … راء،ينسابُ فى غدير الضياء

كلٌّ مافى الوجود عادتْ له الرو … حُ ، وماجتْ به معانى النَّمَاء

يا جـمالَ الحـيـاةِ بعْدَ مُواتِ … وَهْىَ تنسابُ في دمِ الأحـياء!

قـصـةُ البَـعْثِ كلَّ عـامٍ تراها … في قُدومِ الـربيع بعد الشـتاء

أتْرَعَتْ فى الشتاء أقداحَها الأر ضُ انتظارًا لَمقْدَمِ النُّدَمَاء

خمرةٌ للحياةِ قد عَصَرَتْهَا من كُرُومِ السحابِ حُورُالسماء

ثم طافتْ بهاالسقاةُعلى الكو نِ تُديرُ الرحيقَ بَيْنَ الظِّمَاء

فإذا عالمٌ تَمُوج نَدَامَا هُ مِراحًا في بهجةٍ وانتشاء

وزمانٌ ألقى دياجِيَه السو داء ، واهتزَّ في سَنَا الأضواء

وحياةٌ تَخَلَّصَتْ من أساها وخَلَتْ من مرارةِ الأعباء

وشبابٌ أطاحَ عن سِرِّه الأسـ ـرَ فما غير قوةٍ وفَتَاء

هى خمرُالربيع ماجتْ بهاالأر ضُ ، فأبدتْ كوامنَ الأنباء

أظهرتْ سِرَّها كنجوَى عذارَى عاشقاتٍ فى سامرٍ ومساء

***

أخذت سِحْرَها وزُخْرُفَها الأر ضُ ، وأبدتْ معانِىَ الإغراء

وتراءتْ في فتنةٍ تَشْتَهِيهَا الـ ـنفسُ بعد الإخفاء أىَّ اشتهاء

ذاتُ حسنٍ أبدت لعاشقها الفِتْـ ـنَةَ بعد الصدودِ حينَ لقاء

إنه عُرْسُها لفارسِها المُقْـ ـبلِ في ركبه مِنَ الهيجاء

بعد حربٍ مع الشتاء حَلِيفِ الـ ـبردِ والريحِ والدُّجَى والماء

عـاد منهـا مُظَفَّـراً يتـهـادَى   بين أعـلامِ نـصـرِه الخـضـراء

نَفَـضَـتْ فى لقـائه كَسَـلاً طا   لَ ، وألقتْ وسـائدَ الإغـفـاء

ورَمَتْ مِعْطَفَ الخمُول لِتَنْسا   بَ نشـاطًا فى دافئِ الأرجـاء

وأزاحتْ عن وجهِهاالمشرقِ الصا   فى نِقَابَ السحائبِ السوداءِ

واستقرتْ فى نفسها ثورةُ الريـ   يح ،وعَصْفُ العواصِف الهوجاء

وسرتْ فى دمائها لَذَّةُ الدف   ءِ كجمر المقْرُور فى الإمساء

وَتَبَدَّتْ فى زينةٍ تَكْشِفُ الحسـ   ـنَ ، وتُبْدِى مواطنَ الإغواءِ

لبِستْ ثوبَها المُطَرَّزَ بالور   دِ، تَجُرُّ الذيولَ فى خُيلاءِ

وزَهُورُ « البَنْسِيهِ» زَيَّنَّ أجزا   ءً. فزادت أناقةُ الأجزاء

وعقودٌ من ياسمين الروابى   طَوَّقَتْها فى رقةٍ وصَفَاء

وتهادتْ فى موكب من ضياءٍ   وأريجٍ ، وفرحةٍ ، وغناء

ألِفَ الطيرُ جَوْقَةً فى نواحيـ   ـه بأحلى الأنغام والأصداءِ

والفراشُ الهيْمَانُ رَفَّ على الزهـ   ـرِ كحُلْمِ الجميلةِ العذراءِ

مـرحـبًـا مـرحـبًـا مـواكـبَ آذا رَ، وعُرْسَ الطبـيـعةِ الحـسناءِ!

***

إنهـا رَجْـعَـةُ الحـيـاةِ إلى الكو نِ، ودنيـا الغَـرَامِ والشـعـراءِ

مواكب
النور

فى صَحْراءِ الْهَرِمِ

ضـــحكتُ وبى هَمٌّ بَكَى فى الجـــوانحِ

واخــفــيتُ أحــزانِى بـأفـراحِ مــازِحِ

وكَـتَـمْتُ مـا بى عن صِحـابى ، ومـا دَرَوْا

بـأن فـــؤادِى فـى هـمـــومٍ طوافـحِ

رمـــيتُ بـقلبى في لـهـــيبٍ أثَرْتُـه

بعـــينَىَّ ، لـم أسْـمع إلـى نُصحِ نـاصحِ

تقـدمتُ مـرتاحًـا إلى مَـذْبَحِ الهَـوَى

وقـــدمتُ قلبى عن رِضًـــا فى الذَّبـائحِ

وكنتُ حَـــسِبْتُ الحبَّ يَرضَى تَقَــرُّبى

فـــأرتاح مـن نار الهـــمـــومِ اللـوافحِ

واحــيَــا بــآمـــالي يُـداعِبُ نـورُها
خـيـالى ، وتَـهْـفُـو بالأمَــانى سَــوَانحى
فــأُفْــقِــدْتُ آمــالـى ، وأطفئَ نـورُها
وجـاءتْ بـأسـرابِ الشــقـاءِ بَـوَارِحى
لكَ اللهُ يا قـلبى شـقــيًّـا مُـعَــذَّبًا
ولِى اللهُ مِنْ عـانٍ شـهـيـدٍ طوائحِ !

***

وقلتُ أداوِى الـقلبَ من قُـرْحَـة الهـوى
ومن جُـرْحـه بـين القلوبِ الـصـحـائحِ
وقلـتُ إلى الـصـحـراءِ عَلَّ هُـدُوءَها
يُخَـفِّـفُ ثوراتٍ عَـتَتْ فى جـوانحى
لعـلِّىَ أنْ أنـسَى عـذابَى سـاعـةً
وأرتـاحَ من وجـدٍ بـقلبىَ جـامحِ
لعلَّ الـفـضـاءَ الرَّحْـب يحـملُ عن فـتىً
همـومًـا بـهـا مـا عـاشَ ليس ببـائحِ

وقلتُ سأنسى بين صَحْبِى روايتى

وأسلُو بلهوٍ بينهم عن مَسَارِحِى

وما كنتُ أدرى أن ربَّةَ صَبْوَتى

أمامى ، وأن الدمعَ فى الجَمْع فاضِحِى

تجلدتُ حتى لا تقولُ : غَلَبْتُه

وداريتُ أحزانى لأحْزنَ كاشِحى

ورحتُ مع الجَمْع السعيدِ على فمِى ابْـ

ـتِسَامٌ وقلبِى عنهُم فى مَنَائِحِ

***

ولاحتْ لنا الأهرامُ بيتَ قصيدةٍ

وَعَتْه الليالى من أغاريدِ صادحِ

شوامخُ في صدرِ الفَضَاء كأنها

معانٍ قد استولتْ على ذهنِ كادحِ

كُسِينَ جلالاً صامتًا غير أنه

مُبِينٌ بآياتِ الخلود الفَصَائحِ

هَزِئنَ بما يُدْعَى البلى ما عَرَفْتَه

ولا مرَّ يومًا بالصَّفا والصفائحِ

رَمَيْنَ جلابيبَ الفناءِ وأُسْدِلَتْ

عليهنَّ أستارُ الخلودِ المكافح

يُذَكِّرْنَني حُبِّي الذي انسابَ في دمي

وخُلِّدَ في قلبي فليس بنازحِ

فما لِفتاتي قد خَبَا في فؤادِها

غرامي كأنِّي لم أكنْ في الجوانح ؟!

لها دينُها ، إني مقيمٌ على الهَوَى

ولستُ عن العهدِ القديمِ بشائحِ

ألم تكُ نُوري في السراديب أهتدي

به في طريقٍ في الدُّجى مُتَطَاوِحِ

وقد ضَمَّنا قلبُ الطهورِ وأظلمَ الـ

ـسبيلُ سوى ضوءٍ على البُعْدِ لامحِ

وقـالوا : أضِـيـئـوا نُورَكم ، إنه سُـرَى

سَـراديبُ خُـوفُـو لَيْلُهـا غـيـرُ بارحِ

فـقـلتُ : دعـوا أضـواءكم ، إن بيـنَكم

حـبيـبِى ، سناهُ سـاطعٌ غـيـرُ جـانحِ !

سَـرَيْنَا ، وأضـواءُ الـشـمـوعِ نُجُومُـهم

وشـمـسِى بـنورٍ فـى طريـقِىَ لائـحِ

إلى مـخـدَعٍ قـد كـان خـوفـو ضَـجِـيـعَـهُ

حِـمًى قـد غَـدَا نَهْـبًـا لغـادٍ ورائحِ

وقـد مَلَكَتْنا رهـبـةٌ فـى رحـابِهِ

وسـادَ شـعـورٌ بيننا غـيـرُ واضحِ

ورفَّتْ حـوالَيْنا طيـوفٌ حـزينةٌ

وأصـداءُ مـوتٍ فى مَنَاحـاتِ نـائحِ

ودنيـا من الأشـبـاحِ فى كلِّ جـانب

تُحَـمْلِقُ فـينا بالـوجـوهِ الكَـوالحِ

مواكب النور

قَطَعْنا عليها صمتَها وهدوءَها

بترديد لاغٍ أو بصيحاتِ صائحِ

وكان رفيقي في الطريقِ اسمُ ربَّتي

وما بيننا غيرُ الخصامِ المُشَايحِ

خُطًى لو خطاها الهجرُ بيني وبينها

لَعُدْنا لعمرٍ في حِمَى الحبِّ سارحِ

فما لنوانا قد تطاولَ دَهْرُها ؟

أليس كِلانا في النوى غيرَ رابحِ ؟

فلُوحي ضياءً ، قد تكاثفت الدُّجَى

ولا تحرِميني من رضاكِ المُصَافِحِ

ولا تُشْبِهي الصحراءَ فهي شحيحةٌ

وليستْ نجيباتُ الحِمى بالشَّحَائحِ

ولا تأخُذِي هَجْرَ الهوى عن هَجِيرِها

فليسا سِوىً لَفْحٍ من النارِ لافحِ

وَهَيَّـــا نَـعُـــد لـلحبِّ عـــودةَ طـائرٍ

إلى عُـــشّــــه بعــــدَ الـنوى والـنوازحِ

وهـيَّـــــا نَعِشْ فى عــــالَـمٍ أنتِ نـورُه

لأحـيَا على كَـفَّـيْكِ أشـدُو مَـدَائِحِى !

انتظار

مِيعَادُ لُقياكِ ثارتْ بي مَوَاجِعُهُ
واشعلتْ في هَشِيمِ العُمْرِ نيرانَا

شَوْقِي إليهِ أحالَ العمرَ صارخَةً
مِنَ الحَنِينِ تُدَوِّي فيهِ أشجانا

أُصْغِي إلى رَنَّةِ «الهَتَّافِ» بي أمَلٌ
في أنْ يَعُودَ هَوَانا كالذي كانا

ومِلْءُ سَمِعَى اصداءٌ مُجَلْجِلَةٌ
قد داعَبَتْ أملاً في النفس ولَهَانا

قد خَلَّفَتْنِي على رنَّاتِهَا قَلَقًا
يَمُوجُ في عالمي المُغْبَرِّ حيرانا

إخَالُ كلَّ رنينٍ هاتفةً
تدعو إلى هَمْسَةِ الميعادِ لَهْفَانا

كـــأنما اتَّـصلَـتْ أســلاكُــهُ بِـدَمِى

فَـصَـيَّـرتْ خَـفَـقَـات القلب إرْنَانَا

أصْــغى لَرَنَّـاتَه فى القلب خــافــقــةً

حـتى اســتـحلتُ مِنَ الإصْــغَــاء آذانا

أهفــو إلـى هَمَــسَـات منكِ فـى أُذُنى

تنسـابُ كـالسِّـحـر أنغـامًـا وألحـانا

طال اشتـيـاقى لصـوتٍ منكِ يُسْـعِدُنى

منْ بَعْـدك امــتـلأتْ دنيـاىَ أحــزانا

أوَّاهُ من حَظِّىَ المنكود ! قـد ضَــرَبَتْ

أيدى الـنوى بينـنا بُـعْـدًا وهـجــرانا

***

تَرَكْـتِـنى سـاريًا ضـاعتْ مَـعَـالِـمُـه

فى مَـهْـمَــهٍ مـا تُلاَقِى فـيـه إنسـانا

ضلَّ الـطريـقَ بأرجــاء مُـــغَـلَّقَـــة

خَـبَـا سناهـا وأمـسـى الأفْقُ غَـيْـمَـانَا

لم يُهْـدِهِ الليـلُ فى ظَلْمَـائه قَبَسًا

من الضـيـاء يُحيلُ الشكَّ إيمانا

لم يَدْرِ كيف تقودُ البيـدُ خُطوتَه

وَشَكُّه ثَارَ في جَنْبَيْـه شيطانا

فى كلِّ خُطوةِ إيمانٍ بَدَا شَبَحٌ

للشكِّ يَرْجِعُ بالإيمانِ كُفْرانا

قد حَارَ بين الشِّعَاب السُّود ، واختلَطَتْ

بنفسه البيدُ إشراقًا وإدجَانا

قد حَيَّرَتهُ المعانى ، كُلُّها امتَزَجَتْ،

لم يَلْقَ بين الدُّجى والنُّور فُرْقَانا

سِيَّانِ في نَفْسِهِ اللونانِ ، قَدْ مُزِجَا

بريشَةِ الشكِّ أصباغًا وألوانا

***

لم أدْرِ كيف افترقنا ، بَعْدَ ما جَمَعَتْ

دنيا الهوى بيننا رُوحًا ووجدانا؟

مرتْ ليالي الصَّدَى شوقًا إلي غَدِها

حتى إذا جاء عاد القلبُ صَدْيَانا

لم أدرِ كيف أتَى ؟ لم أدرِ كيف مَضَى؟

كأنه حُلُمٌ قد زار أجْفَانا

لم أدرِ إلا وقلبي في سَعَادته

ثم انثنيتُ أُرَاعِي القلبَ أسْوَانا

أعْدَدْتُ للقلب عند الفجرِ زينَتَهُ

وفي الصباح تَرَدَّى القلبُ أكفانا

***

لِمَ افترقنا وما تَمَّتْ سعادتُنا

وما تَمَتَّعَ بالأفراحِ قَلْبَانا؟

ولم يُرَوِّ رحيقُ الحبِّ غُلَّتَنا

على لَظَانا ، ولم نَنْعَمْ بُلقيانا؟

عُدْنا ولم تُطفِئْ اللقيا تَلَهُّفَنَا

إلى اللقاء ، كأنَّ القُرْبَ أظْمَانا

مواكب النور

أشـبـاحُ هـجـرِكِ قـامت فـيـه نـاعـقـةً

على طريقِ الـهـوى بُومًـا وغـربـانًا

نَمْضي ومِنْ خلفنا ظلٌّ يلاحِقنا

يُلقِي عـلى قـربنا نأيًا وحـرمـانا

فَـجَـاءتني بالنوى شـوكًـا على طُرُقي

من بَعْـدِ مـا امْـتـلأت وَرْدًا وَرَيْحَـانًا

فـجـعـتني في أمـانٍ قـد حَـيِيتُ لهـا

مِن بَعـدها كلُّ مـا في العـمـر قـد هَانا

***

أقْبَـلتِ في بسـمـةٍ كـالصـبحِ مـشـرقـة

قـد أيقظتْ مـن سُبَـات اليـأسِ وَسْنانا

وحَــوَّلتْ كـل مـا حَـوْليَّ باسـمـةً

وحـوَّلتْ كـل مـا حـوْليَّ جَـذلانا

وقلتُ للقلبِ : قـد ولَّتْ مَـوَاجِـعنا

فـاسـحبْ على باكيـاتِ الأمسِ نِسْيَانا

واشربْ معى فى الهَوى كأسَيْنِ من فَرَح

وَلْنحىَ للحبِّ نشوانًا ونشوانا

صفا الزمانُ ورَقَّت فيه ناضرةٌ

من الأمانِىِّ ترعاها وتَرْعَانا

دنياَك ياخافِقى عادتْ بشاشَتُها

كما كَسَا الورقُ المُخْضَرُّ أفنانا

فاجمعْ لِعُشِّك منها كلَّ ناعمةِ

وَهَيِّئِ الدفءَ أوراقًا وأغصانا.

أصْغَى الفؤادُ لآمالي وبَهْجَتها

وراحَ يَخْفُقُ فى جنبىَّ فرحانا

يستلهمُ الفَرَحَ الفيَّاضَ أُغنِيَةً

دفاقةً مِنْ دمِى رُوحًا وأوزانا

لكنها فرحةٌ ثار الدُّخَانُ بها

من قبلِ أن تَسْتَشِفَّ النورَ رُوحَانا

أثرْتِ عــاصــفــةً مــا خَلَّفتْ أمــلاً
أبْـنيـــــه إلا أطـاحتْ منه أركـــــانـا
نَظَـرْتُ ، لم ألقَ حــوَلَيْنا ســوى ظُـلَمٍ
قــد حَــجَّــبتنـا ويأسٍ راح يَغْـشــانا
ثار الـضَّــبــابُ بأفْقٍ كـنتُ أرقُــبُـه
يـا طالمـا كـــان بالآمـــال مُـــزْدَانـا
أشـكُو إلـي الـنيـلِ والأنجــــامِ لَيْلَـتنـا
ومـــا تَكَبَّـــدَه قلبى ومـــا عَـــانَى!

***

تركـتنى حـيــرةً ، لا القـربُ أسـعـدنى
ولا الـنوى شــــغلـتنى عـنكِ سُلْوانـا
بـين الـظـلامين مـن لـيـلٍ ومـن لُـجَجٍ
شِـــــراع حــــائرةٍ لـم تَلْـق شـطآنـا
عُـودى إلىَّ ، فــبَــحـرى صــاخبٌ لجبٌ
إلاَّ تعــودى أمُت في البــحــر ظمــآنا!

أصداءُ الضِّفَاف

انتظار :

وَوَقَفْتُ أرتقبُ الجميلة في دَمِي
ظَمَأً إلى اللقيا يَهُزُّ مَشَاعِري
وبمهجتي نَغَمٌ صداه مُجَلْجِلُ
دَوَّتْ معانيه بلحنٍ ثائرِ
رَنَّاتُه مَلأَتْ عليَّ مسامعي
وتزاحمتْ أطيافُه في خاطري
لم تَرْوِهِ شفتايَ بعدُ فلم يَزَلْ
خَطَرَاتِ إحساسٍ وهَمْس خَوَاطِرِ
هي فكرةُ الميعَادِ تجري في دَمِي
وتموجُ في حِسِّي بمعنىً غامر

سأصوغها نغمًا يفيض بفرحتى

ويظلُّ يَرْوِى للخلود بشائرى

لو أقبلَتْ تجلو غياهبَ لوعةٍ

وتُزيل عن فجرى سوادَ ستائرى

وتعيدُ للمحزون فرحةَ دهرِه

وتَضُمُّ أشلاءَ الصِّبا المُتَنَاثِرِ

تَمْحُو ببسمتها شقاءَ مُعَذَّب

وبنورها الهادى اكتئابةَ حائرِ

أفنى الشبابَ الغَضَّ فى أحزانه

وأضاعَ نُورَ صباه بين دياجرِ

***

ووقفتُ أذكرُ كيف قالتْ : فى غدٍ

ألقاكَ فى فتَنِ الأصيل الزَّاخرِ

أُهْدِى شبابكَ من صِبَاىَ قصيدةً

تَرْوِى لقلبِى لَحْنَهَا يا شاعرى

واعِيدُ للوتَرِ الكئيبِ بشاشةً

كندَى البَنَفسَجِ في الصباحِ الباكرِ

***

ووقفتُ والدنيا مَعَارِضُ فتنةٍ

تُجْلَى روائعُها لعينِ الناظرِ

لَوْحاتُ فنٍّ لم يُشاهَدْ مِثلُها

صُبِغتْ بألوانِ الربيعَ الناضرِ

رِيشاتُه غُمِسَتْ بأصباغِ السَّنا

والظِّلِّ والأرَجِ الصَّخُوبِ الفائرِ

وَجَرَتْ بها كفُّ صَنَاعٌ أتقَنَتْ

تَوزيعَها من فوقِ لونٍ زاهرِ

فهنا حواشٍ من ظلالٍ أشرَقَتْ

فيها ينابيعُ الضياءِ البَاهِرِ

وهنا تَفاوَحَ في جوانبِها شَذًا

ينسابُ من زَهَرٍ رَفيفٍ عاطرِ

وعلى السماء مفاتنٌ قُدسيَّةٌ
مَرَّتْ بها كفُّ الأصيلِ الساحر
نَسَجَتْ على الأفُقِ البعيد غُلالَةً
شَفَقِيَّةً من غَيْمِهِ المتكاثِرِ
والشمسُ خلف غيومها غَرْبِيَّة
تُلقِي أشعتَها وَدَاعَ مُسَافر
دنيا من السحْرِ البهيجِ تَدَفَّقَتْ
حولى بإغراءٍ عَتِيٌّ آسر
أسْقِيتُ نَشوتَهَا فهِمْتُ كأننى
ثَملٌ بكأسٍ من سُلافَةِ عَاصِر

***

ووقفتُ أرقُبها تَلُوحُ ، كأنها
أمَلٌ تَهَلَّلَ بعد حظٌ عاثِرِ
أصْغِي إلى خُطُوَاتها فى مُهْجَتى
رنَّاتِ موسيقَا مساءٍ سامِرِ

في وَقْـعـهِـنَّ رشـاقـةٌ مـحـبـوبةٌ

هي بـعضُ ألوانِ الـشـبـابِ الناضـرِ

ونَظَـرْتُ لم أرَ في الطبـيـعـة فِـتْـنَةً

مـا عـدتُ أنـظرُ غـيـرَ نـورٍ غـامـرِ

مـلأ الرِّحَـابَ عَلَـيَّ في حَـيَـوِيَّةٍ

مَلَكَتْ علَى مـشـاعـرى وخـواطرى

هو نـورُها الدفَّـاق ، حَـيْثُ تَلَفَّـتَتْ

عـيني فليس سِـواه مِلْءَ نـواظرى

أقْـبَلـتِ ، يا دنيـايَ دُوري أو قِـفي!

أنـا لا أُبَالـي بـالـزمـانِ الجـائـرِ

أغلى أمـانـي العُـمْـر ، في إشـراقِـهـا

غـابتْ كـآباتُ الزمـانِ الكاشـرِ

يا فَـرْحَـتي ! عـادت إليَّ بشـاشـتي

أوَ لَـسْتُ في فَـلَكٍ بِـحُـبِّكِ دائـرٍ؟!

فى الحديقة:

أقــبَـلـتِ فى مَـــرَحِ الصِّـــبـــا وفُتُـونه
عـــصـــفـــورةً لاقتْ وَرِيفَ خَــمَـــائلِ

الظـلُّ منـشـــورُ الذوائـبِ حـــولـهـــا
والماءُ يَـجْـرِى كـــالضـــيـــاءِ الســائلِ

والـعُـشُّ بـالإلـفِ المُـتَـــــيَّـم دافـئٌ
جَـــمْـــرُ الهـــوى المَشْـبـوبِ ليـس بزائلِ

زَهَتِ الحــديقــةُ حـين جـئتِ وأظهَــرَتْ
مكـنون ســـحـــرٍ بـالمفـــاتنِ حـــافلِ

أشـــرقتِ فى جَنَبـاتهـــا فَـــمَـلأتهـــا
نوراً تَـدَفَّقَ كـــالصــبـــاحِ الشـــاملِ

وأفَـضْتِ فـيــهـــا من صِـبــاكِ نضــارةً
وكَـسَـوْتِهَـا من ســحـــركِ المُتَـخَـايِل

حـــتى اســتــحـــالتْ قطـعـــةً فَنِّيَّـــة
زَخَـــرَتْ بفـنٍّ من جـــمـــالك نـاهلِ

كـانتْ خُـطاكِ بهـا عـصًـا سِـحْـرِيَّةً

مَـسَّتْ حـواشِـيـهَـا بفـتنة بـابلِ

فى كـلِّ رُجْـءٍ من شـبـابكِ ومـضـةٌ

وبكل نـاحـيـةٍ مُـرُورُ أنامـل

أنَّى الـتَـفَـتُّ فليس غـيـر دلائلِ

عن سـحـرك الجـبَّـار بـعـدَ دلائلِ

حَـيَـوِيَّةٌ تنـسـابُ فى أرجـائـهـا

مـثلَ انسـيـابِ الماءِ بينَ جـداول

وبشـاشـةٌ فـوق الرُّبى فـيـاضـةٌ

كـالنور فى أُفُقِ الصـبـاحِ الهـاطلِ

وعُـذوبةٌ مـثـل ابتـسـامـاتِ المنى

لـيلَ الـزِّفـافِ بدتْ وراء غـلائـلِ

مـاجتْ حَـوَآلـينا مـعـانٍ حَـيَّـةٌ

دَوَّى بهـا مـعنى الشـبـابِ الآمل

أذكتْ بقلبَيْنا الحياةَ كأنما
كنَّا نعيش على طريقٍ غافلِ
وعَلَتْ بنا فوق الضياء، وطالما
عِشْنا بأطراف المَغيبِ الآفلِ
وسَمَتْ إلى قِمَمٍ يُغَشِّيها السنا
في موكبٍ فوق الذرى مُتطاولِ
لاحتْ بَها الدنيا حقائقَ بعدما
عِشْنا زمانًا في سُفُوحِ الباطلِ
هو حُبُّكِ السامى أزاحتْ كَفُّه
عن نورنا المَخْبُوءِ سُودَ سَدائلِ
كَشَّفْتِ عن لألائه فتألَّقت
جَمَراتُه بين الرَّماد الخاملِ

***

قد كنت أُمْنِيَةَ الحياة لَقِيتُها
مِنْ بعدِ ما شَقِيَتْ بيأسى القاتلِ

عُمري تَبدَّدَ كالضَّباب مع الضحى

أو كالشُّعاع مع الغُروبِ المائلِ

ضَيَّعتُ أيامى بسفحٍ أراقم

لم ألقَ منها غيرَ سُمٍّ غائلِ

حتى لَقِيتُك فاستفاقتْ فى دمى

دنيايَ من بعدِ السباتِ الذاهل

ونَفَضتِ عن نفسى الدُّجى ، وأزحتِ عن

كَتِفيَّ أعباءَ الشبابِ الجاهلِ

وتَدَفَّقتْ حولى ينابيعُ السَّنا

فانسَبْتُ فى نورِ الغدير الجائل

إنا بدأنا يا جميلةُ في الذُّرى

فجرًا بأفراحِ الشباب الرافل

فَضَعى ذراعَكِ فى ذِراعِىَ ، ولْنَسِر

فى موكبٍ بمنى هوانا آهِل

شـــعْـــرِى الحُــدَاءُ بـه إذا طال السُّـــرى

وهواكِ إن نَـزَلَ الظـلامُ مَــــشَـــاعلـى

ووفـــــاءُ قـلـبِـىَ فى الـطـريـق ظلالُـنـا

ورحـــيقُ ثَغْـــرِكِ فى الـلهـــيبِ مناهـلى

نَمْـضِـى مـعًـا ، والحبُّ يَهْـدِى خَـطْوَنا

والـطُّهْــــرُ يـرعــــانـا بـعينِ الـكَافِـلِ

نَنْسَى الحــيـــاةَ ومن بهـــا فى ذُرْوَةٍ

عنـهـــا شـبــــابُ الحبِّ ليس بـراحلِ

لسنا نُبَـــالى فى حِـمـــاها حـــاسـدًا

أو نَسْـتَـجِـيـبُ إلى حَـمَـــاقـة عـــاذلِ

دنيـــا لنـا لاحتْ نُـجِـــدُّ لـهـــا الخُطَى

فـيـــهـــا سَـنَـسْـعَــد بالنـعـيم الـكاملِ

لا تَتْـــرُكِـــينـى فى المجـــاهِلِ مُـــفْـــردًا

فـعلـى سنا عـــيْـنيْكِ أُدْرِكُ ســـاحِـلِى!

مواكب النور

بين الكهوف :

هل تذكرينَ وقد حَوتْنا خلوةٌ

بين الكهوفِ مع الأصيلِ الشاهدِ؟

هل خَلوةٌ بين الكهوفِ نأتْ بنا

عن ضجَّةِ الواشي وعينِ الحاسدِ

إنَّا تركْنَا للحديقة ناسها

يَمْضُون في صَخَبٍ بها متزايد

جَمعٌ خَليٌّ لم يُعَذِّبْهُم هوىً

فتنقَّلُوا بين الفراغ البارد

وَقَفوا مع الدنيا كما وَقَفتْ بهم

لم يَتْركُوا سفحَ الرَّمادِ الخامد

موتى بِسَفْحِهِمُ وإنْ لم يَشْعُروا

الروحُ لا تَحْيَا بجسمٍ هامد

إنا تركنا أرضَهُم لسمائنا

لسنا بأبناءِ التُّرابِ البائدِ!

مواكب النور

يالى مِنَ الـذِّكْــــرى تموجُ بـخـــــاطرى

فَـتُـعِـيـدُنى لأصـيـلنا المتُـبـاعِـدِ!

بين الكـهـوف الشُّمِّ نـشـهـدُ فَـجْــرنا

من بـينِ أضـــواءِ المَـ ــيبِ الوافـــدِ

إنَّا الـتـــقـــينا بَـعْــدَ مَـــا ثارتْ بنا

أشــواقُ حُـبٍّ فى الجـــوانحِ عـــامـدِ

أيامُنا مَــــرَّتْ غـــرامًـــا ظامــئًـــا

لم نَـلْقَ فـــيـــه غـــيـــر رىٍّ شـــارد

اليــاسَـــمِينُ الغَضُّ كـــان براعـــمًـــا

لم تَـنْفَــتِحُ عن عِـطرِها المُتَـصَـــاعِــدِ

كـــان الهـوى فـيـهـا كـمـا انْبَـثَـقَ السَّنا

فى الـفـجــرِ من بينِ الظَّلام الهـاجِــدِ

نـورٌ تَألَّـق بين قَـلْبَـــيْـنا مـــعًـــا

فـــيـــه مــضـــينا فى طريـقٍ واحـــد

لم نَـدْرِ كـيف مـضى الـطريقُ بـنا وإنْ

كـنّا نُـصَـعِّـدُ خـلف نُورٍ رائـد

إنـا بدأنـا سَـيْـرَنـا فى مـوكـبٍ

شـادٍ إلى القِـمَـمِ الـبـعـيـدةِ صـاعـدِ

***

إنّى لأسْـتَـشْـهِـدُ يوم لُقْـيـانا بهـا

أولىَ الـصـحـائفِ فـى هَوَانا الخـالدِ

إذ نحن في حِـضْنِ الكهـوفِ أبُثُّكِ الـنَّـ

ـجْـوَى ، وأُنْشِـدُ ذائبـاتِ قـصـائدى

هى منـكِ ، لكنى صَـبَـغْتُ صَـفَـاءها

بـدمٍ مـن الـقـلـبِ المُـعَـذَّبِ وَاردِ

لا تُنْكِرِى منهـا لـهـيـبًـا قـانيًـا

هو بـعضُ نـيـرانِ الـفـؤادِ الواجـدِ!

وأرَاكِ حين جَـلَسْتِ فـى فِـتَنِ الهـوى

مـعْـبُـودةً تُصـغـى لفـتنةِ عـابدِ

مواكب النور

« فستانك » الدَّمَوِيُّ من قلبي ارْتَوَى
ألفيْتُ في دَمِه اعتداءَ الصائدِ
لي عندهَ ثأرٌ يثورُ بمهجتي
أنا لستُ عن ثأري المُقيمَ بقاعدِ!
وأرىَ على عينيكِ حيرةَ طِفْلَةٍ
خلفَ الغُيوب وسِرُّهنَّ الآبدِ
ترنو إلى الأفُق المُحَجَّب علَّها
تَلْقَى ضياءً في الضبابِ الراكدِ
ماذا وراءكَ يا ضبابُ : أمُشرقٌ
للنور أم قِطَعُ السحابِ الرَّاعدِ؟
حَيْرَى ببيداء الظنون ، وكلُّها
سُبلٌ تَلظَّى باللهيب الواقدِ
شتَّى مَسَالكَ ، حيثُ حلَّ ركابُها
ما غير شيطانٍ عليها راصدِ

الحبُّ ؟ ماذا فيهِ غيرَ حبيبةٍ
تَشْقى ومُضْنَى للشقاء مُكَابِدِ؟
عمرٌ يضيعُ مع الخيالِ كأنه
عُمْرُ الفَرَاشِ مع الضياءِ الجاحدِ
حتى إذا احْترَقَ الجَنَاحُ ورَفْرَفَتْ
خَفَقَاتُه قبل السكونِ الهامدِ
ضَحِكَ السَّنا وتراقصتْ أضواؤه
وهَوَى الجناحُ إلى ظلامٍ سائدِ
أقصُوصَةٌ فَرَغَتْ وأُسْدِلَ سِتْرُها
لا النورُ غابَ ولا الجَنَاحُ بعائدِ !
لا ياجميلةُ لا تَضِلِّى فى دُجىً
سوداءَ ليس لِلَيْلِهَا مِنْ طاردِ
ودَعِى الظنونَ ونارَها ودُخانَها
لا تَمْلَئِى الدنيا بوَهْمٍ ساهدِ

يـا طِفْـلَـتِـى نَحِّى تـهَـــاوِيـلَ الدُّجَـى

واسـتَـقْـبِلِى الأحـلامَ بين سَـوَاعِـدى

وإذا صـحَـا الـفـجـرُ الطَّرُوبُ وغَـرَّدَتْ

عـصـفـورةٌ فى عُـشِّـهـا المُتَـمـايِدِ

فـاصـغَـىْ ، فـبينَ يـديكِ شـادٍ ، شِـعْـرُهُ

صلَـوَاتُ قِـدِّيس ، ونَجْـوَى عـابدِ

يُزْجِى إليك صَـلاتَـه فى مَـعْـبَـدِ

مـا فـيـه غـيـر هَـوَى إلهٍ واحـدِ

حَـسْبِى وحَـسْـبُكِ فى حَـيـاتَـيْنا هَوىً

أنتِ الهُـدَى فـيـه يُضِئُ مَـعَـابِدِى!

هَدية حُبٌ

مِنْ الـوَرْدِ والفُلِّ والـيَّـاسَـمينْ
ومن زَنْبَقِ الفَـجْرِ فـوقَ الغُصُـونْ
ومن كـلِّ زَهْرِ نَدىٍّ الجُـفُـونْ
نَظَمْتُ عـقـودَ الهـوى والفُـتُـونْ
لأعْـقِـدَها فـوقَ أحلَى جَـبينْ
أكـاليـلَ حُـبٍّ طويـلِ الحَنينْ
أقَـدِّمُـها فـى ابتـسامِ السِّنينَ
لأجْـمَلِ مَـنْ قـد رأتها العُـيُونْ
إليكِ .. بعـيـدِك .. يَافـتْـنَتى

***

ومِنْ دَفْـقَـةِ النُّور فـوقَ الجِـبَالْ

ومن بَسْمَةِ البدرِ خلفَ التِّلالْ
ومن نارِ شوقٍ طويلِ الحَبَالْ
قَبَسْتُ ضياءً بعيدَ المَنَالْ
وهيَّأتُ شَمْعًا عزيزَ المثَالْ
أعدَّتْهُ أحلامُ لَيْلِ الوصَالْ
لأشعلَهُ للصِّبَا ..للجَمَالْ
لأجْمَلِ مَنْ قد رآها الخَيَالْ
إليكِ .. بعيدِكِ .. يَافِتْنَتِي

***

ورحتُ أصعَدُ فوق الشِّعَابْ
أجُوزُ السُّفوح ، وأعلُو الهِضَابْ
إلي قِمَمٍ يحتويها السَّحَابْ
أنَقِّبُ خلفَ الكُنُوزِ العِجَابْ
واكشِفُ عن سِرِّهِنَّ الحِجَابْ

لأختارَ من مَاسِـهِنَّ العُجَابْ
فَـرَائدَ تَهْـفـو إليـهـا الرِّقَـابْ
لأنـظِـمَ مِــن نُـورِهـنَّ المُـذَابْ
عـقـودًا لجِـيـدِكِ .. يـا فِـتْـنَتِي

***

ورُحْتُ إلى البـحـر بعـدَ القِـفَـارْ
أخوضُ البـحارَ ، وأطوِي الغِـمَارْ
علي زورقٍ مـن ضـيـاءِ النَّهَـارْ
إلى جُـــــزُرٍ نـائيــــاتِ المَـزَارْ
أفَـتِّـشُ بين سـحـيـقِ القَـــرَارْ
عن الـلؤلُـؤِ البِـكْرِ بينَ المَـحَـــارْ
لأجْـمَعَ أنْدرَ مـا في البِـحَــارْ
واصْـنَعَ مـنهـنَّ أغْلَـى سِـــوَارْ
لأحْلَـى المَعَـاصِمِ .. يا فِـتْنَتِي

وعـــــدتُ إليـكِ بـشطٍّ أمِـينْ
تَسُــوقُ شِــراعِى رياحُ الحَـنِينْ
وتَدْفَــعُـه فى خِـضَـمٍّ الفُـتُـونْ
أمــانٍ أضــاءتْ ظلامَ الدُّجُـونْ
ومِـلْءُ يَــدَىَّ كُنُــوزُ السِّــنِينْ
ومنْ لؤْلُو الـبحْـرِ مِلْءِ السَّفِينْ
وبـينَ اللآلــىء كَـنْــزٌ ثَـمِـينْ
هو الحُبُّ .. حبِّى .. فهل تقْبلِينْ
هديـةَ عـيـدِكِ .. يا فـتْنَتِى؟

الفهرس

مواكب النور